الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

المعهد: الآداب و اللغات
القسم: لغة و أدب عربي

المرجع:.....

الشعبة: لغة وأدب عربي

التخصص :أدب قديـــــــم

الغربة والحنين في شعر عبد الرحمن الداخل

- دراسة نفسية -

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

إعداد الطالبة:
آسيا بن داس

إشراف الأستاذ:
عزوز سطوف

السنة الجامعية : 2013/2012

** إهـــداء **

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على نبينا محمد

الحمد لله الذي أوصلني إلى تحقيق هدفي

إلى التي رآني قلبها قبل عينها ،وحضنتني أحشاءها قبل يدها

أهدي محبتي و سلامي إلى **أمـــــــــــي**

إلى قدوتي الأولى ،و نبراسي الذي ينير دربي

إلى من علمني أن أصمد أمام أمواج

البحر الثائرة إلى **أبـــــــــــي**

إلى حماي وحماتي

إليك يا من أفديه بروحي

إلى من وقف معي في مسيرتي بدون كلال ولا ملل

إلى زوجي العزيز

إلى أولادي الأعزاء :أنيس،دعاء،زياد ،رزان

أتمنى من الله أن يرعاكم

إلى إخوتي و أخواتي

إلى كل صديقاتي بالمراقبة المالية وزملائي

إلى كل زميلاتي في الجامعة .

الحمد لله الذي يطيب بذكره ابتداء الكلام، وتتفتح الأذهان وتتيسر الأعمال وتنجح لمقاصد، و الصلاة و السّلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للأنام ،جاءنا بالخير والعلم والإحسان، فلقد أنعم الله علينا بنعم جليلة، من إيمان وتواصل و محبة و إنسانية، وجعل من عناصر انسانيتنا العاطفة و الإحساس الرقيقين اللذين يولّدان الرحمة التي انبثق منها حب الإنسان لأخيه وحبه لبلده و موطنه .

ولما قال الله سبحانه وتعالى لآدم عليه السلام: وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ،ارتبط الموطن بالسكن بما يمثله من هدوء وراحة نفسية و اطمئنان، فارتبط الإنسان بهذا الوطن ارتباطا يكاد يكون عضويا ،و حين عبّر عن حبه لهذا الوطن ،سواء أكان في إقامته فيه، أم في تأنه عنه، كان التعبير عن ذلك حنينا و رقة، و قد كان الشعراء يعبرون عن حنينهم إلى وطن تركوه إما راغبين في العلم ،أو المال أو صحبة السلطان وإما مكرهين مثل الأمير الأموي **عبد الرحمن الداخل** الملقب ب: صقر قريش–الذي فرّ من بطش العباسيون– رجل الأندلس الأول الذي كون جيشا قويا مدربا حافظ به على الأمن الداخلي وصد به العدوان الخارجي ومكنه من الجهاد في سبيل الله وذلك من أجل الخروج من نفق العصبيات إلى أفق الدولة ، إنه واحد من أعظم رجال التاريخ الأندلسي خاصة والتاريخ الإنساني عامة ،صنع التاريخ في بلاد الغربة، ورغم ما حققه من تفرد ومكانة سامية إلا أن حنينه إلى وطنه وأهله لم ينقطع هذا الحنين الذي حــرك فيه جانب من جوانب الحياة الشعرية والتي عبّر فيها عن غربته وحنينه إلى أهلـــه ووطنه. ولقد ركزنا على هذا الجانب والذي يمثــل في حقيقة الأمر مقطوعـات شعرية متفرقة تتســم بمسحة حزينة تتجلى في شعــر الغربة والحنين التي تشكل محورا بارزا وتيـارا ظاهرا في شعـره وغـرض الغربة والحنين عند عبد الرحمن الداخل يعبـر عن تجربة حقيقيــة عاشها الشاعـر، والدارسون ركـزوا على الشخصية البطولية ومــا جـاوزت من عقبــات ونكبات وما حققتـــه من نصر، وأشـــاروا إلـى هـذا الجـانب

–الغربة و الحنين– في شعره إشارات عابرة دون التعمق في ذلك مثل :كتاب الحنين والغربة في الشعر العربي ليحي الجبوري وكذلك " الحنين والغربة في الشعر الأندلسي"–عصر سيادة غرناطة – رسالة ماجستير لمها ابراهيم الخليلي .

ومن هنا جاءت أهمية اختيارنا لهذا الموضوع الذي يشمل بالدراسة غربة الشاعر المكانية و بروز هذا الجانب الوجداني في شعره بشيء من التفصيل، ومحاولة الكشف عن بعض الخصائص النوعية التي تميز بها الشعر الأندلسي، إذ أن الصدى الوجداني الممثل في شعر الغربة والحنين عند الداخل وغيره من الشعراء الأندلسيين، يعد طرفا من أطراف الخصوصية الشعرية الأندلسية، إذ يلح هذا الغرض عليهم في موضوعاتهم ويضرب بجذوره عميقا في أدبهم، وهو غرض يتضمن جوانب إنسانية ثابتة لا تتغير لأنها ترتبط بالوجود الإنساني وبوجود الإنسان الأندلسي فوق أرضه الأندلس.

فكل هذه الأسباب الموضوعية دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع يحدوها دافع ذاتي هو شغفنا بالشعــر الأندلسي عموما، وحبنا الشخصي لقصة تاريخ عبد الرحمن الداخل.

هذا وقد نهض البحث على جملة من الإشكاليات منها:

- ما هي معالم المنهج النفسي وعلاقته بالأدب ؟
- كيف تجلت ظاهرة الغربة والحنين في شعر عبد الرحمن الداخل ؟وما هي أسبابها ؟

وللإجابة على ذلك اعتمدنا في هذه الدراسة على إجراءات منهجية متعددة منتزعة من مناهج مختلفة رأيناها مناسبة لطبيعة الموضوع وقادرة على دعمه وتصويب وجهته نحو هدفه انطلاقا من قناعتنا بأن الدراسة المنهجية الجيدة لأي بحث، تقتضي الاستعانة بالمناهج التي تساعد الباحث على الولوج إلى عمق النص الشعري وإن اقتضى الأمر تجاوز المنهج الواحد والمزج بين مناهج متعددة. وهذا ما حاولنا تطبيقه، إذ لم نعتمد في استخدامنا للمناهج

على كل ما تحتويه من مبادئ، وإنما جاء استغلالنا لبعض الإجراءات المميزة لكل منهج بهدف خدمة البحث وإضاءة العديد من جوانبه.

ومن بين المناهج التي استخدمنا بعض إجراءاتها، المنهج التاريخي الذي استفدنا منه في تتبـــع شعر الغربة والحنين عبر العصور التاريخية في المشرق والأندلس، وكذلك بالاطلاع على بعض الحوادث التاريخيـــة التي أحاطت بالداخل ذلك بهدف فهم جوانب من نصوصـه و شخصيته و اعتمدنا على المنهج النفسي الذي يرتبط بالجانب الذاتي للشاعـر و يلائم تفسير بعض الظواهر النفسية، وقد مزجنا هذه الدراسة ببعض التفسيرات الأسلوبية و الظواهر اللغوية التي أفرزتها ظاهرة الغربة في شعر عبد الرحمن الداخل.

وقد قسمنا بحثنا هذا إلى فصلين:

قسمنا الفصل الأول– و هو فصل نظري – إلى مبحثين المبحث الأول حددنا فيه معالم المنهج النفسي و ذلك بالتطرق إلى تعريف علم النفس الأدبي و خصائص المنهج النفسي كما تطرقنا إلى معرفة العلاقة بين علم النفس و الأدب (تطور و تاريخ)، وذكر مدارس علم النفس المعاصرة، أما المبحث الثاني تناولنا فيه الغربة و الحنين في شعر عبد الرحمن الداخل فعرفنا مفهوم الغربة و الحنين ،ثم ذكرنا الغربة و الحنين عند العرب القدامى وصولا إلى الشاعر عبد الرحمن الداخل، وذلك بذكر أسباب غربته، و حنينه بعد التعريف بشخصيته.

أما في الفصل الثاني وهـو الفصل التطبيقي فقـد تعرضنا الى دراســة شعـر عبد الرحمن الداخل دراسة نفسيـــــة وختمت هذا البحث بخاتمة لخصنا فيها نتائج الفصل الأول و ملاحظات حول الحنين و الغربة في شعر عبد الرحمان الداخل وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مصادر أندلسية تاريخية و أدبية مثل كتاب نفح الطيب للمقري، وكتاب أخبار المجموعة، و بيان المغرب لابن عذاري و بعض المصادر التراثية النقدية مثل كتاب منهـاج

البلغاء و سراج الأدبـــاء للقرطاجني، وابن الأبّـار في كتابه الحلـــة السَّيـراء وكذلك مراجع أخرى تخص النقد النفساني مثل كتـاب مناهج النقد المعاصـر لصلاح فضل، وكذلك التفسير النفسي للأدب لعز الدين إسماعيل و مراجع أخرى.

والحقيقة أننا عانينا صعوبات لم تكن في تحصيل المصادر والمراجع العامة بقدر ما كانت في إيجاد منهجية تلم شتات البحث وتوجهه إلى هدفه يضاف إلى ذلك قلة الدراسات التطبيقية والنفسية المعمقة، الأمر الذي دفعني إلى الاستفادة من بعض المفاهيم البسيطة والمضي بها في التطبيق رغم نقص إمكانياتي المعرفية في هذا المجال. إضافة إلى عراقيل نفسية واجتماعية كادت تعصف بعزيمتي في مواصلة البحث وإتمامه لولا توفيق من الله سبحانه وتعالى؛ الذي بفضله أتممته.

الفصـــــل الأول: الشّـــــاعر والغربـــــــــة

المبحث الأول: تحديد معالم المنهج النفســـي

المبحث الثاني : الغربـــة والحنيـــن في شعر عبد الرحمن الداخل

1-تعريف علم النفس الأدبي:

1-1علم النفس:

أ- لغة: يعود أصل المفهوم إلى الكلمة اليونانية و هو عبارة عن كلمة مكوّنة من مقطعين :الأول psyche و يعني الروح أو النفس، و الثاني Logos و تعني علم أو دراسة .

ب-إصطلاحا :هو العلم الذي يدرس الظواهر النفسية ،كما أنّه "العلم الذي يدرس السلوك و العمليات العقلية "[1] و يهتم بتفسير السلوك الإنساني في المواقف الحياتية المختلفة و الدوافع الكامنة وراء هذا السلوك .

1-2 تعريف الأدب :هو التعبير الكلامي عن التجارب الشعورية الموحية أو هو "التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية ،(ومعنى ذلك أنّ)التجربة الشعورية هي العنصر الذي يدفع إلى التعبير ،و لكنها بذاتها ليست العمل الأدبي لأنها مادامت مضمرة في النفس ،لم تظهر في صورة لفظية معينة فهي إحساس و انفعال ،(أمّا) التعبير في اللغة فيشمل كل صورة لفظية ذات دلالة ، و لكنّه لا يصبح عملا أدبيا إلاّ حين يتناول تجربة شعورية معينة و التعبير عن التجربة الشعورية لا يقصد به مجرد التعبير بل رسم صورة لفظية موحية للانفعال الوجداني في نفوس الآخرين"[2].

وبضمّ تعريف علم النفس وتعريف الأدب تنتج لنا ماهية علم النفس الأدبي: هو تحليل نفسيات الأدباء و خصائص شخصياتهم اعتمادا على كتاباتهم و أحداث حياتهم واعتبار العمل الأدبي صورة تعكس حياة الأديب و سماته الشخصية عن طريق تطبيق نتاج علم النفس الحديث على شخصيات الأدباء و نتاجهم الأدبي .

[1] الداهري، صالح حسن ،و الكبيسي وهيب مجيد ،علم النفس العام،ط1،دار الكندي للنشر و التوزيع،أربد ،الأردن ،1999م،ص 23.
[2] سيد قطب،النقد الأدبي أصوله ومناهجه ،ط6،دار الشروق ،القاهرة،مصر،1990م، ص 11 .

2-خصائص المنهج النفسي:

يعرف شخصية الأديب من خلال أدبه وما تتسم به نفسيته "فالأدب صورة نفسية لشخصية الشاعر أو الأديب، فالتنفيس و التوصل، دافعان متلازمان و شرطان ضروريان لبروز الفن و لا يغني أولهما عن ثانيهما ،هما رغبة الفنان في أن ينفِّس عن عاطفته و رغبته في أن يضع هذا التنفيس في صورة تثير كل من يتلقاها، نظير عاطفته "[1]،إنّ كل عمل يبدعه أديب صادق و أصيل ،إنما يريد منه التنفيس عن همومه و رغباته وعواطفه ،وهو لا يكتفي بهذا بل يريد أن يوصل عمله إلى غيره ليعيش معه تجربته. كما أنه يقوم بتفسير الظواهر الفنية والجوانب الجمالية استنادا إلى عوامل نفسية فالإدراك الجمالي لا ينحصر في جزء من حياة الإنسان ،و إنّما يشمل كل قدراته النفسية وطاقاته الذهنية و الغريزية" [2] ويطبّق نتائج علم النفس على شخصيات الأدباء ونتاجهم الأدبي وهذا ما نجده عند فرويد الذي "ذهب يحلل شخصيتي ليوناردو دافنتشي و دوستويفسكي و أعمالهما الفنية"[3] كما أنّه يبحث عن أثر البيئة على شخصية الأديب عند التحليل و ذلك بمعرفة دور النشأة و السّياسة و الثقافة في تكوين الشخصية .

3- العلاقة بين علم النفس والأدب: تطور وتاريخ :

العلاقة بين الأدب والنفس لا تحتاج إلى إثبات لأنه ليس هناك من ينكرها . فكل ما قد تدعو الحاجة إليه هو بيان هذه العلاقة ذاتها وشرح عناصرها. على أي نحو يرتبط الأدب بالنفس؟ أيستمد الأدب من النفس أم تستمد النفس من الأدب؟ أم أن العلاقة بينهما علاقة تبادل من التأثير و التأثر ؟

[1] المختاري ،زين الدين ،مدخل إلى نظرية النقد النفسي ،د ط ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،سوريا ،1998 م،ص 30 .
[2] المرجع نفسه ص 28.
[3] المرجع نفسه ص 12.

و حقيقة هذه العلاقة ليست شيئا مستكشفا للإنسان الحديث، لأنها كانت قائمة منذ أن عرف الإنسان وسيلة التعبير عن نفسه، فقد أحس الإنسان منذ البداية بهذه العلاقة و لمس آثارها؛ وإن كان هذا الإحساس مبهما.

وقد حاول الناس منذ القدم أن يقدموا تفسيرا لما يحدثه الشعر في نفوسهم من اهتزازات وحاولوا أن يعرفوا سرّ عبقرية الشاعر ففسّره بعض أساطير اليونان على أنه وحي الآلهة و أن الشاعر لا يعدو أن يكون ناقلا أو راوية لما يتلقاه عنها، ومن ذلك ما نراه في مطلع إلياذة هوميروس التي استهلها بقوله[1] :

ربّةُ الشِّعْرِ عَنْ أخِيْلِ بْنِ فِيْلَا أنشدينا وَارْوِ إحتدامًا و بِيلاَ

فهو لم يطلب من ربّة الشعر أن توحي إليه و أن تلهمه ما ينشده، و إنما طلب منها أن تنشده مباشرة و اكتفى هو بأن يكون واحدا من رواتها ، فيملي على الملأ ما يتلقاه من فيض روحها. ومثلما نجد عند أفلاطون في نظرية الإلهام إذ اعتبر أن المقدرة الإبداعية عند الأديب هي الحماسة أو الحب، و يرى أن مصدر هذا الإلهام هو الوحى الإلهي.

كما فسّرته بعض الأساطير اليونانية على أنه موهبة من الآلهة لبعض البشر تعويضا لهم عن بعض ما حرموا منه، كما وقع للشاعر ديمودكس الذي اقتلعت ربّة الشعر عينيه ومنحته عذوبة الإنشاد .

و فسّر العرب في جاهليتهم العبقرية على أنّها من وحي شياطين "و ذاعت لدى العرب منذ وقت مبكر فكرة أن لكل شاعر شيطان يوحي إليه الشعر، و قال الشاعر نفسه :

إنّي وكلّ شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر"[2]

[1] هوميروس ،الإلياذة ،ترجمة صفية طبني ،راجع أوزانها و ضبطها الأستاذ جبران سحاري ،مدرسة النقد الأدبي ،www.|12|.com.
[2] عزالدين ،إسماعيل ،التفسير النفسي للأدب ،ط4،مكتبة غريب ،القاهرة ،مصر ،د ت ،ص 20 .

وقد اشتهر حديثهم عن علاقة الشعراء بالجن و للعبقرية ذاتها نسبة إلى عبقر وهو واد كانت العرب تزعم أنه كثير الجن.

إن التفسير الخرافي الذي تبناه شعراء العرب سابقا يجعلنا نؤكد أن عملية الإبداع عملية معقدة .

و المؤكّد أن كثيرا من النقاد و البلاغيين العرب قد لمسوا مظاهر هذه العلاقة على نحو آخر فانتبهوا إلى الظروف التي تواتي النفس فتنشئ الأدب، كما أحسّوا بتأثير الأدب في النفـس وإثارة ألوان عدّة من المشاعر. غير أن كتابات هؤلاء لم تتجاوز مرحلة الإحساس المبهم إلى الشرح الموضوعي، فلم يحددوا معالم التجربة الفنية، كما لم يشرحوا لماذا تتأثر النفس بهذا العمل الأدبي أو ذاك شرحا علميا موضوعيا.

لقد بقيت التفسيرات إزاء عملية الإبداع غامضة حتى أتت نهاية القرن التاسع عشر حيث فُسِرت تفسيرا علميا و ذلك من خلال طروحات فرويد التي تهدف إلى تحديد شخصية الفرد و دراستـــها من خلال التحليـــل النفسي، فقد قام بتشريح الشخصيـــة الفكرية إلى ثلاثـة مستويـــات يقوم على أساســها تفسير العمل الأدبي و هي :الهو و يمثله الجانب البيولوجـــي، و الأنا ويمثله الجانب السيكولوجي و الأنا الأعلى ويمثله الجانب الاجتماعي أو الاخلاقي والطاقة الجنسية،" و لقد حاول في دراسته التحليلية لأشخاص الفنانين أن يبحث عن الدوافع التي دفعت هؤلاء الفنانين إلى إنتاج أعمالهم الفنية وقد كان أوضح هذه الدوافع الدافع الجنسي، و قد عزز فرويد نظريته هذه بفهمه الخاص لظاهرة الكبت وقد نشأ هذا الفهم من دراسته للظاهرة التي تبدو من وجهة النظر المنطقية لغوا في مثل الرغبة اللاشعورية عند الابن في أن يحب أمه ويحتل مكان أبيه"[1] ، وهذا ما سماهّ بعقدة أوديب و ألكترا وقد منعت هذه الرغبات التي تتمثل بوضوح في الأحلام باعتبارها "النافذة التي يطل منها اللاشعور

[1] عز الدين اسماعيل ،التفسير النفسي للأدب ،ص39.

والطريقة التي تعبّر بها الشخصية عن ذاتها، فكان التناظر بين الأحلام من ناحية والفن والأدب من ناحية ثانية مغرياً لاعتبار الفن مظهراً آخر من مظاهر تجلي العوامل الخفية في الشخصية الإنسانية، فقد حدد فرويد خصائص الحلم بمجموعة من الأوصاف منها: التكثيف *، والإزاحة** ، والرمز***، ثم أدرك أنها هي التي تحكم . أيضاً . طبيعة الأعمال الفنية والأدبية على وجه الخصوص"[1] .

والإبداع عند فرويد شبيه بالحلم لأنّ كل منهما يمثل انفلاتا من الرقابة وهروبا من الواقع ،هذا الرقيب الذي يحول بين الرغبة وإشباعها سواء كان الرقيب هو الوازع الديني أو الأخلاقي أو العرفي، كما أنه يرى أن "عملية الإبداع نوع من اللعب أثارته حادثة معينة في الحاضر فاستجاب الفنان ليربطها برغبة غير مشبعة قديمة فيعبّر عنها بطريقة تتلاءم مع أعراف و قوانين المجتمع وهكذا تربط العمل الفني اللحظات الزمانية الثلاثة ،الماضي الحاضر و المستقبل، فالحادثة الراهنة أثارت في نفس الفنان رغبات دفينة قديمة عبر عنها"[2]. وقد تكون هذه الرغبات منذ الطفولة .

ويؤكد فرويد على أن مرحلة الطفولة بكل انفعالاتها واضطراباتها تتفاعل في الداخل وهي التي تحدد سمات شخصية الإنسان، "فإذا عانى الطفل شيئاً من الحرمان في هذه المرحلة؛ كانت هي المشكلة لأهم ملامح طريقته في السلوك وفي التصوّر، فإذا كان هذا الإنسان فيما بعد مبدعاً وشاعراً؛ أصبح محكوماً بجملة تجاربه الطفولية تلك، والمرجعية الحقيقية لما يستخدمه في رموز"[3] يوظفها في عمله الإبداعي هذا العمل الذي يعتبر حلم يقظة يحلمه الفنان أو الأديب تنفيسا عن رغبات كامنة ، يخفف به توتر نفسيته العميقة ليس معنى ذلك أن الأديب كما بالغ فرويد حينما وصفه بأنه مريض نفسياً، واعتبر أن

*التكثيف :حذف أجزاء من مواد اللّاواعي و خلط عدة عناصر من عناصره في وحدة متكاملة،دليل الناقد الأدبي، ص334.
**الإزاحة :إبدال موضوع الرغبة اللّاواعية الممنوعة بأخرى مقبولة إجتماعيا و عرفيا،المرجع نفسه ،ص334.
***الرمز:تمثيل أوعرض المكبوت (غالبا ما يكون موضوعا جنسيا من خلال مواضيع غير جنسية تشبه المكبوت وتوحي به)،المرجع نفسه ص ن.
[1] صلاح فضل ،مناهج النقد المعاصر ، ط1،دار الأفاق العربية ،القاهرة ،مصر ، 1997م ،ص، 65.
[2] الرويلي ميجان و سعد البازغي ،دليل الناقد الأدبي ،ط3،المركز الثقافي العربي دار البيضاء، المغرب و بيروت، لبنان،2002 م،ص334.
[3] صلاح فضل ،المرجع السابق ،ص 67 .

الكاتب عصابي عنيد يصون نفسه بواسطة العمل الأدبي الذي يعكس عقده الجنسية وأمراضه النفسية، وهو هنا يُرجِع العملية الأدبية الإبداعية إلى حالة مرضية، في حين أن الأديب يختار كلماته، و يتابع التخيل تحت تأثير الإلهام، ولابّد أن ينهي كلامه بخطاب مغلق في المستقبل أما العصابي فإنه يجهد أثناء نطقه بما يخص ماضيه من خلال تكرار لا يتوقف.

على الرغم من الجهود التي بذلها هذا العالم في تحليل طبيعة الإبداع الفني فإنه لم يصل إلى حل حاسم لها و صرّح أن وسائل التحليل النفسي عاجزة على فك مغالق العملية الإبداعية و قد أشار فرويد في أكثر من مناسبة إلى أن الأدباء و الفنانين و الشعراء، هم وحدهم أدرى بأسرار النفس الإنسانية و إليهم يرجع الفضل في اكتشاف اللّاوعي.

إنّ الجهد الذي قام به فرويد ترك أثرا لا يمكن تجاهله في الثقافة المعاصرة ،فصار فكرا أساسيا أنطلق منه أتباعه ليطبقوه على أبحاثهم في الفن، والأخلاق، والدين والميثولوجيا و السياسة و التاريخ ، ونشأت اتجاهات أخرى كان لها أثرها البالغ في اكتشاف جوانب غير فردية لربط العالم الداخلي بالإبداع الأدبي، من بين هؤلاء:

"كارل يونغ" و هو من أوائل طلاب فرويد أسّس مدرسة و سمّها مدرسة علم النفس التحليلي و قد استخدم مصطلح اللّيبيدو ولم يقصد بها الطاقة الجنسية بل طاقة الدوافع الكلية النفسية وبناء على نظريته تألف اللاشعور من قسمين اللاشعور الفردي أو الخافية الخاصة نتيجة لخبرة الفرد الكلية و الكبت ،و اللاشعور الجماعي أو الخافية العامة "ويعده المنبع الأساسي للأعمال الأدبية و الفنية ، والبوتقة التي تنصهر فيها كل النماذج البدائية والرواسب القديمة والتراكمات الموروثة و الأفكار الأولى "[1]، فاللاشعور الجمعي بهذا المعنى يمثل خبرات الماضي وتجارب الأسلاف وهو منطلق يونغ في تحليل عملية الإبداع بصورة عامة.

[1] المختاري زين الدين ،مدخل إلى نظرية النقد النفسي ،د ط ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،1998م،ص 14.

وأهم مبادئ يونغ "مبدأ القطبية إذ اقتنع يونغ أن العالم بأسره قد وجد بسبب التعارض القائم بين الأشياء، فهناك دائما تعارض و هذا التعارض يستدعي الصراع، والحياة بدون صراع لا تساوي شيئا، فالصراع هو المادة الخام الأساسية للحياة وهو الذي يدفع إلى الأمام ،فالحياة و الحركة و تغيير الأوضاع ممكنة فقط تحت ظروف الضغط و الرغبة في إزالته عن طريق القوة المضادة و هي التي تجعل الشيء الأصلي يتحرك في صورة عمل"[1].

ففي الوقت الذي يتفق فيه "يونغ" مع أستاذه "فرويد" في فكرة اللاشعور؛ فقد رفـــض تمييز فرويد بين الأنا و الأنا الأعلى و عـرّف الجزءان على أنهما في الشخصية متشابهـان كما " نجده يرفض مغالاة أستاذه في تفسير الإبداع الفني في ضوء العقد النفسية، وإيلائها الأهمية الكبرى في حياة الفنان والسلوك الإنساني عامة، فيونغ يرى أن الفنان أهم بكثير، بل ربّما لا يمكن مقارنته بمريض العصاب، مما أتاح الفرصة لظهور تحليل نفسي جديد للأدب"[2].

من ثم ظهر تيار نفسي آخر كانت له أهمية خاصة في تحليل الإبداع الأدبي، فهذا ألفرد أدلر صاحب مدرسة علم النفس الفردي يخالف أستاذه فرويد في أن تكون الغريزة الجنسية السبب الوحيد لظهور الأمراض العصابية ،و الباعث الأول على الفن، ويؤكد على أن القوة الدافعة في حياة الإنسان هي الشعور بالنقص، وهي تبدأ حالما يبدأ الطفل بفهم وجود الناس الآخرين والذين يملكون القدرة أحسن منه للعناية بأنفسهم و التكيف مع بيئتهم ومن اللحظة التي ينشأ الشعور بالنقص، يبدأ الطفل " الكفاح من أجل التفوق :و يتمثل في أن السعي وراء التفوق يمثل وسيلة تعويضية عن مشاعر النقص وفي هذا المجال يقول ادلر الآن بدأت أرى بوضوح السعي من أجل التفوق في كل ظاهرة نفسية "[3].

[1] الداهري صالح حسن ،والكبسي وهيب ،علم النفس العام ،ص 76 .
[2] صالح الهويدي ،النقد الأدبي الحديث ،قضاياه و مناهجه،ط1،منشورات السابع من أبريل ، 1426هـ ، ص 85.
[3] الداهري صالح حسن، والكبسي وهيب ،المرجع السابق،ص76.

إن الباعث الأساسي على الفن عند أدلر "هو غريزة حب الظّهور أو حب السّيطرة و التملك"[1]، كما أنه يرى أن الإنسان يعيش مواقف كثيرة على أفكار غير صادقة قد تسبب له الكآبة والشك في الآخرين إذا لم تعالج معالجة منطقية علمية، و يؤكد على أن "أسلوب الحياة يبدأ ببداية حياة الطفل وقد تتسم معاملة الوالدة بالسيطرة والإهمال أو الحماية الزائدة مما يُولد أساليب فردية أو عدوانية أو أنانية"[2].والشيء الذي يميّز نظريته هو اهتمامه بالجانب الاجتماعي .

امّا أوتو رانك من المشتغلين بالتحليل الفرويدي. استخدمه فرويد كسكرتير له، وعينه مساعد رئيس تحرير إيماجو للتحليل النفسي، وكان مرشحا ليخلف فرويد في كل شيء إلاّ أنه نشر كتابه صدمة الميلاد، فكانت صدمة للجميع لأنه كان بكل المقاييس ضد كل المفاهيم التي دعا إليها فرويد. إن إسهام رانك في التحليل النفسي هو نظريته في صدمة الميلاد، وكان مؤلفه الأول هو كتاب الفنان وقد قام رانك بتطبيق تقنيات التحليل النفسي على مجالات الأدب، والفن، وعلم الاجتماع ، وبيّن أن الشخصية السّوية هي التي تعبر عن إرادتها في تناسق مع إرادة الجماعة، بينما النمط الخلّاق من أنماط الشخصية و هذا النمط لا يكون إلا للفنانين لأنه يمارس إرادته مستقلا عن إرادة الجماعة، أو أنه يمارسها معارضا للإرادة الجماعة في كتابه الفن والفنان يرى رانك أنّ الفن مثله مثل الدين، هو تعبير عن إرادة الإنسان للخلود، إلّا أنّه في الفن فإن الفنان يريد خلوده هو نفسه، و فكرته عن الخلود فكرة نرجسية تميز المرحلة قبل الدينية و قبل ظهور المجتمعات. أما في الدين فإن الإنسان كان عليه أن يتخلى عن الوعي النرجسي عنده ويخلي السبيل لنمط الوعي الجماعي ورغم "هذا التخلي فإن بعض الناس من فئة الفنانين لم يفرطـوا في نرجسيتــهم، ولم يخضعوا لمتطلبات التطور الاجتماعي، وقاوموا العبودية للمجتمع، وظلوا على تحررهم الروحي، وبهم يدوم الفن

[1] المختاري زين الدين ،مدخل إلى نظرية النقد النفسي ،ص 14.
[2] الداهري صالح حسن، والكبسي وهيب، علم النفس العام ،ص 77.

وهؤلاء هم الذين خلقوا روائع الأعمال الفنية ويسميهم رانك أبطال الفن"[1]، ويصف حياتهم بأن فيها الثنائية المتناقضة، فهم يعيشون نفسيا حياة خصبة مليئة بما يخلقون ويبدعون، و لكن ذلك يكلفهم الصراع مع المجتمع الذي لا يريد منهم الخروج على أنماطه الاجتماعية .

إن مدرسة التحليل النفسي قدمت للأدب والفن خدمات جليلة، وحققت للنقد مكسبا منهجيا جديدا، إذ فتحت أمامه أفاقا واسعة في تعمق الصور الفنية وزوّدته بمفاتيح سيكولوجية لتحليل شخصيات الأدباء و الفنانين ،فهي من هذه الناحية ذات فضل كبير لا ينكر في إرساء قواعد نظرية النقد النفسي .

لم يكـن النقاد العرب بمعزل عن هذا التأثر فقد ظهرت ملامــح النقد النفسـي عندهم و نذكر على وجه الخصوص ابـن قتيبة (276 ه) في كتابه الشعـر و الشعــراء و القاضي الجرجاني(393 ه) في كتابه الوساطة ،و ربما كانت الملامح النفسية أوضح عند عبد القاهر الجرجاني(471ه) في كتابه دلائل الإعجاز القرآني و أسـرار البلاغة فيؤكد من خلاله الدور الذي تلعبه النفس في شكل العبارة، ثم بدأ التطور الحقيقي للنظر في تلك العلاقة التي تربط الأدب بالنفس وحاولوا تحديد معالمها تحديدا علميا ويعود الفضل في ذلك الى الدكتور طه حسين الذي لفت الدارسين الى المنهج العلمي في دراسة الأدب وقضاياه وقد ساعدت روافد الثقافة الغربية على تعزيز هذا الاتجاه وهذا نجده عند الأستاذان أحمد أمين الخولي ومحمد خلف الله أحمد اللذان كانا يتوليان تدريس هذا الموضوع ، ففي عام 1939م نشر الأستاذ أمين خولي في مجلة كلية الآداب بحثا بعنوان البلاغة وعلم النفس أكّد فيها الاتصال الوثيق بين البلاغة وعلم النفس وأثر الخبرة النفسية في العمل الأدبي وكان يرى أن علم النفس ضروري لفهم البلاغة .

[1] فيصل عباس ،التحليل النفسي و الاتجاهات الفرويدية ،ط1،دار الفكر العربي ،بيروت،لبنان،1996م،ص 97.

وقد ألّف أمين الخولي عن أبي العلاء المعري كتاب سماه في ترسيخ العلاقة بين علم النفس والأدب وارساء قواعد النقد النفسي الف كتاب فن القول .

أمّا الأستاذ محمد خلف الله أحمد فقد تابع في جامعة الاسكندرية أبحاثه في العلاقة بين علم النفس و الأدب وتكونت له في أثناء ذلك وجهة نظر شرحها في كتابه من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده وقد طبّق هذه الدراسة على عدد من الشعراء مثل حسان بن ثابت.

وهناك دراسات الدكتور محمد النويهي في هذا الميدان في كتابه "ثقافة الناقد الأدبي" وكذلك كتاب شخصية بشار 1950م وفي سنة 1953م صدر كتاب آخر بعنوان "نفسية أبي نواس" وهذا الكتاب محاولة جديدة للاستفادة من تحليل نفسية الشاعر في فهم شعره كما نجد أيضا حامد عبد القادر وهو أول من أدخل مادة علم النفس الأدبي في الجامعات المصرية ونظرية النقد النفسي وهو صاحب كتاب دراسات في علم النفس الأدبي، وكذلك اسماعيل عز الدين وهو أول من طبّق علم النفس على الأعمال الأدبية لتفسيرها تفسيرا نفسيا وهو صاحب كتاب التفسير النفسي للأدب .

بعدما تطرقنا الى نظريات أعلام علم النفس ارتأينا الى ذكر بعض مدارس علم النفس المعاصرة، ولكن قبل ذلك نعرِّف المدرسة "وقد أشار معجم علم النفس الى المدرسة بأنها :أي جماعة من المفكرين لهم نظريات متوافقة بعضها مع بعض وسعوا الى تطوير منهجهم أو المدرسة التي ينتمون اليها"[1].

و قد أشار ديفيدوف إلى خمسة مدارس قد شكلت علم النفس المعاصر، وهي البنيوية و الوظيفية و السلوكية والكشطالتية.

[1] الداهري، صالح حسن ،والكبسي وهيب، علم النفس العام ،ص 68.

1-المدرسة البنيوية:

أساس هذه المدرسة الطبيب الألماني "فونت" الذي أنشأ في عام 1879م أول مختبر تجريبي لعلم النفس في العالم، وقد عاون فونت في دراسته و أفكاره، تلميذه العالم البريطاني تتشنز والذي اهتم بدراسة الوعي (الشعور) من وجهة نظر بنائية أو فيزيائية وتحليل الكل الى أجزائه وعناصره المختلفة وبالتالي فإنّ الوعي والتفكير والمعرفة هي مجموعة هذه العناصر أي "تحليل الخبرات الشعورية التي تكونها الإحساسات والصور الذهنية والمشاعر والانفعالات والطريقة المثلى لهذا التحليل هو الاستبطان التحليلي"[1].

كما أنها تقوم على "تحليل العمليات العقلية الى عناصرها واكتشاف ارتباطاتها بالجهاز العصبـــي "[2] أي التحليـــل الاستبطاني، وقد قـــام فونت بعدّة دراسات عن التـداعي والإرادة و إدراك الزمن و الإحساس به، غير أنّه استبعد الظواهر المعقدة كالتفكير واللّغة والسلوك غير السّوي وكذلك المعالجة التطبيقية للعمليات العقلية.

يعتبر تكنر من أهمّ تلاميذ "فونت" وقد حاول بأبحاثه نشر المدرسة البنائية في الولايات المتحدة إلّا أنّها انتهت بوفاته ومن أهم أعلامها: فونت ،كارل ستمف، تتشنر ،تكنر ،بورنج.

2-المدرسة الوظيفة:

تُعد المدرسة الوظيفية أول مدرسة أمريكية في علم النفس وكانت بمثابة رد الفعل واحتجاج من المدرسة البنيوية.

ويعود الفضل في انشاء هذه المدرسة الى عالم النفس الأمريكي "وليم جيمس" الذي عارض المدرسة البنيوية واعتبرها مصطنعة ومحدودة المجال وغير دقيقة، اذ يرى أنه لا يمكن تحليل الخبرة الشعورية الى أجزاء أو عناصر شعورية تخضع لقوانين ميكانيكية وقد

[1] ا الداهري ،صالح حسن والكبسي وهيب علم النفس العام ، ص ص 67،68.
[2] المرجع نفسه ،ص 68.

كان اهتمام هذه المدرسة بدراسة وظائف الكائن الحي في البيئة أي "وظيفة العملية العقلية والتوافق لدى الإنسان مع البيئة ،والفروق الفردية مع اهتمامها بتطبيق معطيات علم النفس في مجال الأعمال و التربية والقانون "[1] كما أنها تقوم على دراسة كل الفئات العمرية من أشخاص عاديين إلى أطفال صغار وكيفية مواجهتهم للمشكلات الغير المألوفة .

وترى هذه المدرسة أن علم النفس يبحث دور الشعور في التكيف مع البيئة وهذا يوضح تأثير دارون، فالشعور هو إحدى الوسائل التي يستعين بها الإنسان حتى يتكيف مع بيئته، وذلك بالتعاون مع تكوينه الجسمي.

وبالتالي حتى نفهم الشعور لابدّ أن نهتم بما يجرى في البيئة المحيطة بالإنسان فإحساس الإنسان بالسرور والألم مرتبط بما يحدث خارج الإنسان نفسه، فلو كنت تهدف إلى تحقيق شيء معين واعترضك عائق، فإنك تشعر بعدم الارتياح، أما إذا وصلت إلى هدفك فإنك تشعر بالسرور.

3-المدرسة السلوكية :

أسسها عالم النفس الأمريكي وطسن (1878م – 1958م)، وثورنديك، وبافلوف.

وترى هذه المدرسة، أن يُقتصر في دراسة علم النفس "التركيز على ما يمكن أن يفعله الفرد في موقف معين وفي كيفية خروج استجابة معينة من مثير معين"[2].

وهذه المدرسة تغالى في تأكيد تأثير البيئة والتربية في نمو الإنسان، وتغض الطرف عن تأثير الوراثة، ولذا يقول واطسون، في مقولته الشهيرة: أعطوني خمسة أطفال أصحاء أسوياء التكوين فسأختار أحدهم جزافًا، ثم أدربه، فأصنع منه ما أريد طبيبًا أو فنانًا أو عالمًا أو تاجرًا أو لصًا ... بغض النظر عن ميوله وسلالة أسلافه.

[1] الداهري ،صالح حسن والكبسي وهيب علم النفس العام ،ص 68.
[2] المرجع نفسه ،ص 79.

وتهتم المدرسة السلوكية بعملية التعلم، كما أن العادات وتكوينها هي محور علم النفس في تصورهم.

وتتفق المدرسة السلوكية مع المدرسة الارتباطية في أنها تنكر وجود قدرات واستعدادات فطرية.

رغم اختلاف هذه المدارس في مبادئها، إلّا أنها استطاعت أن تتبع خيوط العمل الأدبي من وعي و لاوعي الذات : ظروفها النفسية و سيرتها الذاتية وتاريخ نموها، ليصبح العمل تعبيرا عن رغبة ما، ومحاولة إشباعها سواء كانت الرغبة ناتجة عن علاقة المرء بذاته أو بالبيئة أو العالم من حوله.

4-مدرسة الجشطالت :

ظهرت هذه المدرسة في ألمانيا عام 1910م كحركة احتجاجية على المدرسة البنائية وهي مدرسة تعني علم نفس الشكل أو الصورة و يجمع مؤرخي علم النفس على أن الجشطالت كانت على يد فرتيمر بدراسة أجراها عام 1910م وقد التقى باثنين من العلماء الشباب ،هما كهلر و كوفكا، وما لبث الثلاثة أن كونوا جماعية علمية هاجمت بضراوة علم النفس الفونتي .

وقد تأثر رواد مدرسة الجشطالت إلى درجة كبيرة بالفلسفة التي كانت تؤكد أهمية العمليات العقلية وفاعليتها وخضوعها لقوانين موجودة مسبقا والمبادئ الأساسية لهذه المدرسة متمثلة في مبدإ التنظيم و مبدإ التقارب حيث يرى فرتيمر أننا كما ندرك الحركة الظاهرة ندرك الأشياء في وحدات إدراكية وليس كمجموعة من الإحساسات الفردية قد ألّف فرتيمر كتاب بعنوان التفكير المنتج عام 1945 طبّق فيه مبادئ الجشطالت على التفكير المنتج أو الابتكاري، ومن مفاهيم هذه المدرسة "أن الظواهر النفسية كالشخصية والإدراك والتعلم هي

وحدات كلية نفسية منظمة وليست مجموعة عناصر متراصة"[1]. ولقد تعرضت إلى عدّة انتقادات منها :اتسام بعض مفاهيمها بالغموض كما أنّها شغلت نفسها كثيرا بالتنظير دون البحث العلمي.

[1]الداهري ،صالح حسن، والكبسي وهيب، علم النفس العام ،ص 82.

1-الغربة و الحنين

أ- مفهوم الغربة :

جاء في لسان العرب في مادة (غرب)" الغُربة والغَرْب: الذهـاب والتنحي عن النـــاس و اغترب: نزح عن الوطن واغترب فلان: تزوج في غير أقاربه و تَغرَّبَ : نَزَحَ عن الوطن"[1]، "غَرُبَ عن وطنه، غَرَابَة ، و غربة: ابتعد عنه و الغُرْبِ : البعد "[2] .

يقول المتلمس [3] :

أَلاَ أبلغَا أَفنّاءَ سَعْدِ بنِ مالِكِ رِسَالَةَ مَنْ قَدْ صَارَ في الغُرْبِ جَانِبُه

الكلمة العربية " غُربة " تدل كما وردت في لسان العرب على معنى النوى والبعد : فالغريب هو البعيد عن وطنه والجمع غُرباء والأنثى غريبة، والغُرباء هم الأباعِد " ، واغْرَب صار غريبا والتغريب: النفي عن البلد، فالكلمة تدل على معنيين الغربة المكانية، والثاني الغربة الاجتماعية والغربة والاغتراب في المعجمات العربية تدل على النزوح عن الوطن أو البعد والانفصال عنه .

والغُربة، النوى والبُعد والتنحي عن الناس، والتغريب النفي عن البلدان والأوطان وغرُب في الأرض واغرَب : اذا أمعن في البعد وأغرب صار غريبا.

كثيرا ما تكون الغربة قسرية بسبب ما يتعرض له الإنسان من ظلم وخوف أو جوع أما الاغتراب فهو طوعي يختاره الإنسان لأسباب منها عدم الانسجام مع المجتمع والعجز عن الانتماء وعدم الرضى بالتقاليد والأعراف، والمخالفة في الفكر والمعتقد، وكثيرا ما يشعر المغترب بالوحدة والعزلة والفراغ النفسي وكذلك شعوره بافتقاد الأمن وسوء العلاقات الاجتماعية وافتقاد الطمأنينة .

---

[1] إبن منظور ، محمد بن مكرم ،لسان العرب ، مادة (غرب)، ط6،دار صادر ،بيروت،لبنان،1998م، ص 386 .
[2] مجمع اللغة العربية ،المعجم الوسيط مادة (غرب) ،ط4،مكتبة الشروق الدولية ،مصر ،2003م،ص 647.
[3] المتلمس ،جرير بن عبد العزى ،الديوان برواية الأصمعي ،تحقيق محمد الشونجي ،ط1،دار صادر ،بيروت،لبنان، 1998م،ص276.

ب- **مفهوم الحنين :**

الحنين من الفعل الثلاثي الصحيح حنَنَ الذي طرأ عليه التضعيف لغير زيادة، فصار حنّ و تصريفه حنَّ يَحِنُ حَنِينًا، جاء في لسان العرب حَنَنَ"[1]، الحنَّانُ من أسماء الله الحسنى . حنّ يحنّ حنانًا، قال تعالى " يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣" [2] .

الحنين :شديد البكاء والطرب، وقيل هو صوت الطرب أكـان ذلك عن حـزن أو فرح والحَنِين :الشوق وتوقان النفس[3]، والمعنيان متقاربان :حنَّ إليه يحنُّ حنِينًا فهو حانّ.

حنَت الإبل: نزعت إلى أوطانها وأولادها وتحنت الناقة على ولدها :تعطفت .

و الحنين إلى الوطن ظاهرة إنسانية عامة، لا يستطيع المرء التخلي عنها، مهما بلغ رقيه الحضاري وتطوره المادي وسموه الروحي. وإذا كان الشقاء والضياع والألم من مفردات الغربة، فإن الحنين بكل طاقاته " يعني حياة السرور والبهجة والفرح لأنه يجسد لحظة أمل يعيشها الشاعر في ساعة من ليل أو نهار، وإذا كانت الغربة تعني البعد والنوى، فإن الحنين يعني القرب والعودة تفصل بينهما لحظة زمنية معينة، والحنين عاطفة سامية أودعها الله في الإنسان منذ الأزل وهي إحساس وشوق لولاها لقعد الإنسان عن آماله ونكص على نفسه" [4].

وقد أشار الناقد القديم "حازم القرطاجني" إلى الحنين دون أن يذكره بالاسم وهو يتحدث عن "أحسن الأشياء التي تعرف، ويتأثر لها، أو يتأثر لها إذا عرفت، وهي الأشياء التي فطرت النفوس على استلذاذ ها، أو التألم منها، أو ما وجد فيه الحالان من اللذة والألم

[1] ابن منظور ،محمد بن مكرم ،لسان العرب ،مادة (حنن) ،ط6،ص 521.
[2] مريم ،12،13.
[3] الفيروزآبادي ،مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط ،مادة (حنن) ،تحقيق مكتب تحقيق التراث ،ط8،مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان ،2005م،ص1192.
[4] بوقرورة عمر ،الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث ،(1945،1962م)،د ط،مركز منشورات جامعة باتنة ،باتنة ،الجزائر ،د ت،ص 13.

كالذكريات للعهود الحميدة المنصرمة التي توجد النفوس، تلتذ بتخيلها وذكرها، وتتألم من تقضيها وانصرامها"[1] .

و هكذا فكلمة الحنين بكل مسّمياتها ذات إيحاءات عاطفية تعبّر عن شفافية ورهافة في الإحساس، وتحمل في ثناياها الإشفاق وتدور حول البكاء والطرب والشوق والرقة والحزن و الفرح .

[1] القرطاجني، حازم،منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة،ط1 ،دارالمغرب الإسلامي ،1981م،ص 21.

2-الغربة و الحنين عند العرب القدامى:

شعر الغربة و الحنين إلى الوطن ومن فيها من أهل وأصحاب، بدأ في الظهور بصورة بارزة في الشعر الجاهلي، ويكفي أن نقرأ المعلقات وشعر الجاهليين بصفة عامة حتى تسترعي انتباهنا هذه الظاهرة، وتشكل الأطلال الجاهلية مادة غزيرة في هذا الموضوع فهذا امرؤ القيس، أول من بكى الديار حين توجّه إلى بلاد الروم فقد كان يحنّ إلى الأهل و الوطن، وكلما وصل مدينة أو جاوزها يتقطع كبده حسرة على فراقها، يقول وهو في طريقه إلى بلاد الروم[1]:

سَمَا لَكَ شَوْق بَعدَما كان أقصرا و حلَّت سُليمى بطنَ قوٍّ فَعَرْعَرَا

كنانيةُ بانتْ و في الصدرِ وُدُّهَا مجاوِرَة غسَّان و الحـــيَّ يَعمُرَا

كما جاء ذكر الوطن عند عنترة إذ يقول[2] :

أحْرَقتْنِـــي نَارُ الجَوَى والبِعَاد بَعْدَ فَقْـدِ الأَوْطَـــانِ وَالأَوْلَاد

و الشعر الجاهلي يحفل بذكر الحنين إلى الوطن و كره الغربة، ويشرك الشاعر ناقته في حنينه إلى الأهل والحمى، فهي تحن كحنينه وإن اختلفت جهة الحنين فكل منهما يغرض إلى أهله وأحبابه يقول شاعر من بني كلاب[3] :

فمن يك لم يغْرَضْ فإنِّي و ناقتي بحَجَر إلى أهل الحمى غَرِضانِ

و حين ظهر الإسلام، تراجع الأساس القبلي، وحل محله أساس إسلامي تمثل في خروج الجند لفتح البلدان، فرأوا بلادا تختلف عن بلدهم في جوها، وطبيعتها ومظاهر حياتها فعاش الكثير منهم هناك بأجسادهم، وبقيت أرواحهم ومشاعرهم في أوطانهم ومع أهليهم.

[1] أمرؤ القيس ،ديوانه ،تحقيق مصطفى عبد الشافي ،ط5،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،2003م ،ص 59.
[2] التبريزي الخطيب ،شرح ديوان عنترة ،ط1،دار الكتاب العربي ،بيروت،لبنان،1993 م،ص 44.
[3] الجبوري يحي ،الغربة و الحنين في الشعر العربي ،ط1،دار مجدلاوي للنشر و التوزيع ،عمان ،الأردن ،2007 م،ص 35 .

فكثر ذكر الوطن والحنين إلى الأوطان في التراث الإسلامي، وفي مقدمة ذلك الحديث النبوي "حب الوطن من الإيمان"[1]، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم مُحبّا لوطنه مكة كثير الحنين إليها، إن ذكرت كانت عيناه تغرورقان بالدموع شوقا و حنينا إليها .

كما جاء ذكر الوطن في الشعر الإسلامي وهذا ما نجده عند الشاعر عمر بن أبي ربيعة إذ يقول[2]:

قد هَاجَ قلبَكَ بعد السَّلوةِ الوطنُ و الشوقُ يُحْدِثُه للنازحِ الشَّجَنُ

كما نجد ذلك عند جميل بن معمر العذري[3]:

أنـــا جميلُ و الحجازُ وطنـــي فيه هَوَى نَفْسِي و فيهِ شَجَنِيْ

و كان الشاعر في صدر الإسلام تشاركه ناقته الغربة، فعروة بن حزام (30 هـ) يحن إلى العراق حيث الحبيبة، وتحن ناقته إلى اليمن وطنها، ويصور في مقابلة بين هواه وهوى ناقته ما يشعران من اللهفة والحنين إلى الوطن[4]:

هوى ناقتي خلفي و قُدَامِي الهوى و إنّـــي و إيـــّاها لمختلفـــانِ

هـــوايَ عراقيٌّ وتُثْنِي زمامَـــها لبَـرْق إذا لاحَ النجـومُ يمـانٍ

هوايَ أمامي ليس خلفي مُعـرَّجُ وشوقُ قَلوصي في الغُدُوِّ يمانِ

وعلى الرغم من تعقد الحياة نسبيا في العصر الأموي وظهور الدولة بطابعها الإسلامي وسلطان الخلافة الوراثية، إلا أن عوامل الغربة والحنين والتغرب شبيهة بالعصر الجاهلي وازدادت أسباب الغربة من نزوح عن الأوطان والرحيل إلى طلب الرزق والهرب من ظلم الولاة، وكثر الشعر الذي يذكر الغربة والاغتراب والحنين إلى الأهل والأوطان، فهدبة بن

[1] القاري ،نور الدين علي، أسرار المرفوعة ،تحقيق محمد بن لطفي الصباغ،ط2،المكتب الإسلامي، بيروت،لبنان ،دمشق،سوريا،1986م،ص 189.
[2] عمر بن أبي ربيعة ،ديوانه، تحقيق فايز محمد ،ط2،دار الكتاب العربي، بيروت لبنان،1996 م، ص 215.
[3] جميل بن معمر العذري، ديوانه ، دط ،دار بيروت للطباعة و النشر ،بيروت ،لبنان،1982م،ص180.
[4] عروة بن حزام، ديوانه، دط ،دد ،دت ،ص ص 12،13.

الخشرم العذري الذي قاسى الغربة واستبد به الحنين في هذا العصر فقد أودع السجـن لقتله ابن عمه بانتــظار أن ينزل به القصاص، يشكو الغربة ويشتاق إلى الأهــل والعودة إلى وطنه بعد غربته القاسية في السجن بانتظار الموت[1]:

عسى الكَرْبُ الذي أمسيتُ فيه يكونُ وراءَهُ فَرَجُ قــــرِيبُ

فـيأمن خائف و يُفَــكُّ عـانٍ و يأتي أهلَهُ النائي الغريبُ

كما نجد قيس بن الملوح أكثر الشعراء الذين قاسوا من الغربة ،و حفل ديوانه بالشكوى من حيرته و اغترابه و لشدة ما يشعر من غربته في قومه تكرر في شعره كلمة غريب[2]:

أظَلُّ غريب الدار في أرضِ عامرٍ ألا كلُّ مهجور هناك غريبُ

أحبُّ هبــوطَ الواديـــنِ و إنَّني لمُشْتَهِـر بالواديـنِ غريبُ

أمـّا في العصـر العباسي ففيه قل شعر الغربة والحنيـن إلى الأوطان ،نسبـة إلى العصرين الجاهلي والأموي لاستقرار واتساع المدن، وانتشار الحضارة واختلاط الشعــوب وأصبحت الحياة مدنية بعيدة عن البداوة مصدر الشوق و الحنين، فكــانت بغداد ملتقى الثقافات ومركز جذب للكثير من الشعراء، الذين وصل الصراع و التنافس بينهم لدرجة أن بعضهم استعان على بعض بذوي السلطة لإصدار أحكام ضدهم بالسجن ورغم ذلك فقد غُرّبوا مثلما نجد عند أبو تمام، فعلى الرغم من اتصاله بالخلفاء والوزراء فقد كان كثير الترحال و التنقل حتى أَلِفَ هذه الغربة و قال في ذلك[3]:

ما اليوم أول توديعي و لا الثاني البَيْنُ أكثرُ من شَوقي و أحزاني

دَعِ الفِــــراقَ فإنَّ الدهرَ سَاعَدَهُ فصار أملَكَ من روحي بجُثماني

[1] الجبوري يحي، شعر هدبة بن الخشرم ،ط1،دار القلم للنشر و التوزيع ،دمشق ،سوريا،1976م،ص 34.
[2] قيس بن الملوح ،ديوانه، تحقيق يسري عبد الغني،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان،1990م،ص40.
[3] أبو تمام ،ديوانه، شرح الخطيب التبريزي ،ط2،دار الكتاب العربي ،بيروت ،لبنان ،ص 156.

إنّ الشّعر كما قلنا سابقا قل في العصر العباسي، لكن في تلك المرحلة إزدهر الأدب في الأندلس وخاصة الشعر، والذي اختلفت أغراضه ومن بين هذه الأغـــراض –الحنين – الذي كانـت بدايتـــه الحقيقية في بداية عصـر الدولة الأموية في الأندلس نتيجـــة الابتعـاد و الاغتراب عن البلد الأم، وفي هذه الحقبة ظهر لنا أول جيل من الأندلسيين العرب ثم تطور وازدهر في العصور اللاحقة، فإن كان المشارقة لهم فضل السبق في هذا الموضوع فإن الأندلسيين قد لحقوا بهم، وتوسعوا فيه أكثر منهم من حيث الوفرة، أو قـــوة العاطفة ولعلّ السبـب في ذلك مردّه إلى الأحداث السياسية في الأندلـــس، وسقوط معظم المدن الأندلسية بسبب الملوك الإسبان، لعل هذا هو السبب المباشر في المحنة التي عاشها الأندلسيون، فقد قُدّر عليهم أن يعيشوا محنة اغتراب مريرة بسبب سقوط المدن الأندلسية بأيدي النصارى الأمر الذي دفعهم إلى الهجرة من ديارهم، و ترك أوطانهم وفراق أهليـهم وأحبابهم إلى غير رجعة فمنـــهم من رحل إلـى المغرب، ومنهم من رحل إلى المشـــرق وكانت تجـربة الغربة عميقة في نفوسهم، فنظمـوا أشعارا باكية من شدة اللـــوعة والحسرة والشوق والمعاناة، ولعلّ من الأسباب التي كانت وراء توسع الأندلسيين الملحوظ في شعر الحنين عنه لدى المشارقة رحلات الأندلسيين إلى المشرق طلبا للعلم خاصة أن من رحلوا من الأندلس كانوا من الكتّاب و الشعراء، إضافة إلى "ظروف الأندلس التي كانت في حالة استنفار كونها ثغرا إسلاميا متاخماً للعدو الإسباني مما يتطلب المشاركة في الجهاد"[1]إضافة إلى بُعد هذا القطر الأندلسي عن المشرق مما يعني أن يقضي المرتحل غيبة طويلة عن الوطن بغض النظر عن سبب الرحلة هل هي بقصد زيارة الديار الحجازية للحج أو العمرة أم في طلب العلم، أم التجارة فكان هذا يقتضي غيابا طويلا عن الوطن مما يُشعِل في نفوسهم مشاعر الشوق والحنين إليه، فكان هذا سبب في توسّعهم في هذا الفن الشعري أكثر من غيرهم، حيث خلفوا هذا الفيض الغزير.

[1] الداية ،محمد رضوان ،في الأدب الأندلسي ،د ط ،دار الفكر ،سوريا ،2000 م، ص 131 .

3-عبد الرحمن الداخل وأسباب غربته وحنينه:

بما أن مجال تطبيقنا اخترنا شاعرا أمويا معروفا و هو **عبد الرحمن الداخل** ،و قبل الشروع في الجانب التطبيقي كان لابدّ علينا أن نعرّف بشخصية الشاعر، ونعرّج على أهم الأسباب التي دفعته إلى نظمه هذا النوع من الشعر:

أ-التعريف بالشاعر:

أولا إسمه:"هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، كنيته أبو المطرف، أمه: بربرية من سبي المغرب، تسمى راحا أو رداحا"[1].

ثانيا مولده : " بموضع، يعرف بدير حسينة، من دمشق ،سنة 113 هـ، مات أبوه، و تركه صغير السن"[2] .

ثالثا صفاته:" قال ابن حيان :كان عبدالرحمن راجح الحلم، فاسح العلم، ثاقب الفهم، كثير الحزم، نافذ العزم، بريئا من العجز، سريع النهضة ،متصل الحركة، لا يخلد إلى راحة، ولا يسكن إلى دعة، ولا يكل الأمور إلى غيره، ثم لا ينفرد في إبرامها برأيه، شجاعا مقداما بعيد الغور شديد الحدة، قليل الطمأنينة بليغا مفوها شاعرا محسنا سمحا سخيّا طلق اللسان وكان يلبس البياض و يعتم به و يؤثره "[3]، سُمي بالداخل لأنه أوّل من دخل إلى الأندلس من بني أمية و حكمها.

رابعا صفاته الجسمية: فقد كان "طويل القد، أصهب، أعور، خفيف العارضين، بوجهه خال له ضفيرتان وكان يسمى صقر بني أمية"[4]، وأوّل من أطلق عليه هذا اللقب هو أبو جعفر عبد الله بن محمد، الملقب بالمنصور إذ قال يوما لأصحابه :"من صقر قريش ؟ قالوا :أمير

[1] ابن عذاري المراكشي ،بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،تحقيق و مراجعة ،ج س كولان و إليقي بروقنال ،1980م،ج2،ص 47 .
[2] المرجع نفسه ص ن.
[3] المقري ،أحمد بن محمد ،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تحقيق إحسان عباس ،دط ،دار صادر ،بيروت ،لبنان ،1968م،ج 3،ص37.
[4] إبن عذاري ،بيان المغرب ،ج 2، ص 48.

المؤمنين الذي راض الملك وسكن الزلازل وحسم الأدواء ،وأباد الأعداء قال: ما صنعتم شيئا قالوا: فمعاوية قال: ولا هذا، قالوا: فعبد الملك بن مروان، قال: لا، قالوا فمن ياأمير المؤمنين؟ قال :عبد الرحمن بن معاوية الذي تخلص بكيده من سنن الأسنة وظبات السيوف يعبر القفر و يركب البحر، حتى دخل بلدا أعجميا، فمصر الأمصار، وجند الأجناد وأقام ملكا بعد انقطاعه، بحسن تدبيره، وشدة عزمه، إن معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان وذللا له صعبه، وعبد الملك ببيعة تقدمت له، وأمير المؤمنين بطلب عترته، واجتماع شيعته ،وعبد الرحمان متفرد بنفسه، مؤيد برأيه، مستصحبا لعزمه"[1].

خامسا سياسته : كانت سياسة الداخل ناجحة من جانب وفاشلة من جانب آخر "فقد نجح في سياسته وصحبه التوفيق في عمله، ولكنه دفع ثمنا غاليا لنجاحه، فقد اقتضاه الحرص على النجاح وقهر الخصوم والأعداء، ألا يتعفف من الغدر والخيانة، ولا يتورع عن الدسيسة ولا يبتعد عن الشدة المتناهية، وقد جاء إلى الأندلس طريدا شرده الخوف وأتعبته المطاردة ، فلم يجد أمّة موحدة القصد، متحدة التقاليد، متقاربة الأخلاق، بل وجد على نقيض ذلك أخلاطا من الأمم و أنماطا متباينة من الناس فكان جل ما يرمي إليه ويعمل على تحقيقه هو أن يخلق منهم أمة واحدة و قد أفنى زهرة شبابه و أنضر أيامه في هذه المحاولة الصعبة، وكلفه ذلك مجهودا جبارا ودماء غزيرة "[2].

[1] مؤلف مجهول ،أخبار مجموعة ،ط2 ،تحقيق ، إبراهيم الأبياري ، دط ،دار الكتاب المصري ،ودار الكتاب اللبناني ،القاهرة ،بيروت ،1989م، ص ص 111،112 .

[2] أدهم ،علي ،صقر قريش ،مؤسس الدولة الأموية ،د ط ،دار المقتطف و القطيم ،الإسكندرية ،مصر،1948 م، ص 96.

و خير ما تمثل ذلك الأبيات التي كتبها إلى بعض من وفد عليه من قريش يستقصره فما يجريه عليه و سأل له الزيادة و يستطيل عليه بدالة القرابة [1] :

شتـــان من قام ذا امتعاض منتضـــى الشفرتين نَصْـلَا

فجـــاب قفرا و شق بحرا مُسَامِيا لُجَّـــة و مَحْـــلَا

فشـــاد مجدا و بز ملـكا ومِنبـرَا للخطـــاب فصـــلا

وجنّـــد الجند حيـــن أودى ومصّـر المِصْرَ حين أخلى

ثم دعـــا أهله جميعـــــا حيث انتأوا، أنْ: هلـمَّ أهلا

فجـاء هذا طريد جـــوع شريـدَ سيـف أبـــاد قتـلا

فنـال أمنـــا، ونـــال شبَعا وحـــاز مـالا وضـــمَّ شملا

ألم يكـــن حقـا ذا على ذا أعظَـم مِنْ منعـم ومولـــى؟

سادسا وفاته :"توفي يوم الثلاثاء لست بقين من ربيع الآخر، وقيل :لعشر خلون من جمادى الأولى سنة 173، ودفن بقصر قرطبة، وقد بلغ تسعا و خمسين سنة فكانت مدة خلافته ثلاثا و ثلاثين سنة وأربعة أشهر ونصفا، وقيل أن عبد الرحمن بن معاوية رحمه الله لما حضرته الوفاة، وابنه هشام بماردة، وابنه الآخر سليمان بطليطلة، وكل ابنه عبد الله المعروف بالبلنسي، وقال له :من سبق إليك من أخويك فارم إليه بالخاتم والأمر، فإن سبق إليك هشام فله فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة عليه، وإن سبق إليك سليمان، فله فضل سنه ونجدته وحب الشاميين إليه، فقدم هشام من ماردة قبل سليمان"[2] .

[1] ابن الأبار ،الحلة السيراء ،تحقيق حسين مؤنس ،ط1 ،دار المعارف ،كورنيش النيل،القاهرة ،مصر ،1963م،ج1،ص ص99،100 .
[2] إبن عذاري ،البيان المغرب ،ص ص 47،48.

وبعدما عرَّفنا بشخصية الشاعر، نعرّج إلى ذكر أهم الأسباب التي دفعته إلى نظم هذا النوع من الشعر :

ب-الأسباب السياسية :

"كانت سيطرة الخلافة الأموية على الأندلس خلال فترة عصر الولاة سيطرة إسمية فقط إذ لم يصل الى بيت مال الدولة الأموية شيء مما يُجبي من موارد هذه البلاد، يضاف الى ذلك أن كثيرا من الولاة قتلوا أو عزلوا بدون أمر من الخلافة، كما أنّ بعض الولاة تسلموا زمام الحكم في الأندلس بدون أمر منها، أيضا جرت أحداث كثيرة بدون علمها، وعندما سقطت الخلافة الأموية في المشرق وانتقلت الى بني العباس في سنة 132 هـ /749 م خرجت الأندلس وشمال افريقية من قبضة الخلافة رسميا"[1].

وبعد انتصار العباسيين على الأمويين في موقعة الزاب في جمادي الآخرة سنة 749م أخذ العباسيون يتعقبون أمراء بني أمية حيث ما وجدوا وحلوا، يقتلونهم أينما وجدوهم فقد أمر الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح (479-753 م)بتتبع بني أمية وقتلهم والقضاء عليهم ولذلك تفرقوا في أطراف البلاد للنجاة بأرواحهم من بطش العباسيين لهم وكان فيمن فرّ منهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الذي يحكي قصة هربه "قال :لما أمنا وشاع ذلك ركبت متنزها فوقع بهم وأنا غائب ،فرجعت إلى منزلي فنظرت فيما يصلح أهلي ويصلحني، وخرجت حتى صرت في قرية على الفرات ذات شجر وغياض، وأنا والله ما أريد إلا المغرب، وكنت قد بلغتني رواية، كان والدي ـ رحمه الله ـ قد هلك في زمن جدي ـ رحمه الله ـ وكنت صبيا إذ هلك، فأقبل بي وبإخوتي إلى الرصافة إلى جدي، ومسلمة بن عبد الملك ـ رحمه الله ـ لم يمت بعد، فنحن وقوف ببابه على دوابنا إذ سأل مسلمة عنا فقيل : أيتام معاوية، فاغرورقت عيناه بالدمع، ثم دعا بنا الاثنين فالاثنين، فأقبل يدعو بنا حتى

[1] طلفاح خير الله :حضارة العرب في الأندلس ، ص 62،نقلاعن الشطشاط ،علي حسين، تاريخ الإسلام في الأندلس، دط ،دار قباء للطباعة والنشروالتوزيع،القاهرة،مصر،2001 م،ص87.

قدمت إليه، فأخذني وقبلني، ثم قال للقيم: هاته، فأنزلني عن دابتي وجعلني أمامه، وجعل يقبلني ويبكي بكاء شديدا، فلم يدعى بعدي من كان أصغر من إخوتي وشغل بي فلم يفارقني، فأنا أمامه على سرجه حتى خرج جدي، فلما رآه قال: ما هذا يا أبا سعيد؟ فقال: بُني لأبي المغيرة، رحمه الله، ثم دنا من جدي فقال له: تدانى الأمر، هو هذا، قال: أَهو ؟ قال: أي والله، قد عرفت العلامات والأَمارات بوجهه وعنقه .

قال: ثم دُعى القيم فدُفِعت إليه، وأنا ابن عشر سنين يومئذ أو نحوها، فكان جدي رحمه الله، يؤثرني ويتعاهدني بالصلة والبعثة التي في كل شهر، وكنا بكورة قنسرين، بيننا وبينه مسيرة يوم ، حتى مات، ومات مسلمة أبو سعيد قبله بسنتين، فكانت تلك في نفسي مع أشياء كانت تذكر .

فإني لجالس في القرية في دار كنا فيها، ولم يبلغنا بعد إقبال المسودة، فكنت في ظلمة البيت وأنا رمد شديد الرمد، ومعي خرقة سوداء أمسح بها قذى عيني، والصبي سليمان يلعب، وهو ابن أربع سنين أو نحوها، إذ دخل من باب البيت فترامى في حجري، فدفعته لما كان بي، ثم ترامى وجعل يقول ما يقول الصبيان عند الفزع .

قال: فخرجت فإذا أنا برايات مطلة، فلم يرعني إلا دخول أخي فلان، فقال: يا أخي رأيت المسوّدة ؟ وكنت لما فعل بي الصبي ما فعل قد خرجت فرأيتهم لم أدرك شيئا أكثر من دنانير تناولتها، ثم خرجت أنا والصبي أخي، واعلمت أختي : أم الأصبغ، وأمة الرحمن بمتوجهي، وأمرتهما أن يلحقني غلامي بما ينصحني إن سلمت .

فخرجت حتى اندسست في موضع ناء عن القرية، وأقبلوا فأحاطوا بالقرية ثم بالدار فلم يجدوا أثرا، ومضينا حتى لحقني بدر، ثم خرجت حتى أتيت رجلا على شاطئ الفرات، وأمرته أن يبتاع لي دواب وما يصلحني، فأنا أرقب ذلك إذ خرج عبد له أو مولى، فدل علينا العامل فأقبل إلينا، فوالله ما راعنا إلا جلبة الخيل إلينا في القرية، فخرجنا نشتد على أرجلنا، وأبصرتنا

الخيل فدخلنا بين جنان على الفرات، واستدارت الخيل، فخرجنا وقد أحاطت بالجنان، فتبادرنا وسبقناها إلى الفرات فترامينا فيه، وأقبلت الخيل فصاحوا علينا: لا بأس عليكم، فسبحت وسبح الغلام أخي، فلما سرنا ساعة سبقته بالسباحة وقطعت قدر نصف الفرات، فالتفت لأرفق وأصيح عليه ليلحقني، فإذا هو والله لما سمع تأمينهم إياه وعجل خاف الغرق، فهرب من الغرق إلى الموت، فناديته : أقبل يا حبيبي إلي، فلم يأذن الله بسماعي، فمضى، فمضيت حتى عبرت الفرات، وهم بعضهم بالتجرد ليسبح في أثري ثم بدا لهم وأخذوا الصبي فضربت رقبته وأنا أنظر، وهو ابن ثلاث عشرة سنة ـ رحمه الله"[1].

وقد اتجه (عبد الرحمن بن معاوية) نحو إفريقية لعدة أسباب، منها لتطرفها عن مركز الخلافة العباسية ، واستقلال عبد الرحمن بن حبيب الفهري بولايتها، ولتأثره بنبوءة مسلمة بن عبد الملك له وهو صبي بأن دولة بني أمية ستحيى على يديه ولوجود أخواله هناك"[2] .

"قاسى هذا الشاب الطريد مـــرارة العيش في المغـرب دون كلــل و احتمل الآلام دون ضعف أو استسلام، واستقر به المطاف أخيرا عند أخواله من قبيلة "نفزة " وكانت تقيم قريبا من طنجة وقيل في طرابلس"[3] .

أقام عبد الرحمن عند اخواله النفزيين، وبقي معه مولاه بدر، أما أبو الشجاع سالم فقد عاد إلى مولاته أم الأصبغ بالشام، "ورأى عبد الرحمن أن يبادر الاتصال بزعماء بني أمية في الأندلس فبعث مولاه بدرا رسولا إلى أبي عثمان عبيد الله بن عثمان وعبد الله خالد بن أبان بن أسلم زعيمي موالي بني أمية وأرسل إليهما كتابا يعـرض عليهما رياستـه للأندلس وذلك في أواخر سنة 136 هـ فنزل بدر بقرية طرّش Torroxمن ساحل إلبيرة وكانت منزل جند الشام ويجتمع فيها موالي بني أمية. وكانت ريـــاستهم إلى أبي عثمان عبيد الله بـن

[1] مؤلف مجهول ،أخبار المجموعة ،ص ص 53،55.
[2] مؤلف مجهول ،أخبار المجموعة ، ص 56.
[3] المقري ،نفح الطيب ج1 ،ص 328 .

عثمان وصهره عبد الله خالد بن ابان فاجتمع بدرا بهما وقدم إليهما كتاب عبد الرحمن"[1] يشكو فيه ما ابتلوا به ويعظم عليهم حقه ونزوعه إليهم وما صنع به ابن حبيب وبقومه في افريقية ويعلمهم أنه إن دخل غلى يوسف الفهري لم يأمنه ويعرض أنه إنما يريد الاعتزاز بهم وأن يمنعوه وإن تهيأ لهم ما فيه طلب سلطان الأندلس ان يعلموه "[2].

و قد نشط موالي الأمويين لهذا الأمر واستشاروا الصميل زعيم القيسية في معاونة عبد الرحمن و تأييده، ولكـن الصميل بعد أن استجاب لنصرة عبد الرحمــن عاد فأبــدى ترددا وفتورا، واقترح أن يتزوج ابن معاوية من ابنة يوسف الفهري وأن ينزل آمنا في ظله، ثم صرفهما، وقال :إنّ عبد الرحمن من قوم لو بال أحدهم في هذه الجزيرة غرقنا نحن وأنتم في بوله"[3].

ابتاع بعد ذلك اصحاب عبد الرحمن بن معاوية مركبا وجهوا فيه بدرا مع أحد عشر رجلا منهم فعبروا المضيق الى المغرب واجتمعوا لدى نزولهم بعبد الرحمن، الذي تلقاهم بالترحيب والبشاشة، بعد أن كان قد انتابه القلق لتأخر عودة مولاه بدر"[4] وبشروه بما تم لهم بالأندلس، مما خلفوا فيه أبا عثمان وعبد الله ابن خالد وغيرهما من رجال الأندلس من الاجتماع عليه والرضاء به"[5] ثم ركب عبد الرحمن معهم البحر حتى أرسوا بثغر المنكب في آخر ربيع الثاني سنة138هـ-750 م [6]، فأقبل إليه بداية الأمر نقيباه أبو عثمان وصهره عبد الله بن خالد فنقلاه الى قرية طُرُّش حيث ينزل أبو عثمان فجاءه يوسف بن بخت وتوالت عليه الوفود الأموية فبدأ يعد العدة للسير إلى قرطبة"[7] وقد أعد للأمير ما يصلحه من من المركب والمنزل والملبس، فغلظ أمر ابن معاوية وأقبل الناس من كل مكان إليه" [8].

[1] ابن عذاري ،البيان المغرب ج2،ص ص 42-43 .
[2] مؤلف مجهول ،أخبار مجموعة ، ص 67.
[3] مؤلف مجهول ،أخبار المجموعة ، ص 73.
[4] ابن عذاري، البيان المغرب ،ج2ص 44 و أخبار المجموعة ،ص 74.
[5] مؤلف مجهول ،أخبار المجموعة ،ص 75 .
[6] ابن عذاري ،البيان المغرب ج2ص 44 و نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،ج1 ص 328 .
[7] الصوفي خالد :تاريخ العرب في الأندلس "الفتح و عصر الإمارة" ص 308،نقلا عن تاريخ الإسلام في الأندلس ص89.
[8] ابن عذاري ،البيان المغرب ،ج 2،ص 44 .

ثم بدأت الوفود تأتي إليه وتبايعه فقد" أتاه قوم من أهل إشبيلية فبايعوه ، ثم انتقل الى كورة رية فبايعه عاملها عيسى بن مساور ثم الى شدونة فبايعه عتاب بن علقمة اللخمي ثم الى مرور فبايعه ابن الصباح ونَهَد الى قرطبة فاجتمعت إليه اليمنية "[1].

وفي هذه الأثناء كان يوسف بن عبد الرحمان الفهري المتغلب على الأندلس قد انتصر على الثائرين عليه في سرقسطة وبدأ يتخلص من خصومه الذين كانوا يعارضون بعض تصرفاته حتى تكون الأندلس خالصة له ولولده من بعده ، ولكنه فوجئ بقدوم عبد الرحمن بن معاوية الى الأندلس وتأييد موالي الأمويين والقبائل اليمنية له، لهذا بدأ يضع الخطط للتخلص منه، وقد شاور الصميل في أمره فأشار عليه بالمكر به ومخادعته وهوّن عليه ذلك، وذلك لحداثة سنِّه، وقال له هو قريبُ عهد بزوال النعمة، فهو يغتنم ما تدعو إليه ؛ثم أنت بعد ذلكم متحكّم فيه و في الذين سعوا له بما تُحبُّ"[2] .

رجع يوسف الفهري إلى قرطبة ينتظر انتهاء فصل الشتاء الذي قد بدأ، و قد رأى أن يرسل إلى موالي الأمويين يحذّرهم و يخوفهم من مناصرة عبد الرحمن ابن معاوية و الخروج عليه فقالوا له :إنما أقبل ابن معاوية إلينا و إلى جماعة مواليه، يريد المال، ليس فيما يظن الأمير – أصلحه الله– ولا فيما رُفع إليه، واعتذروا له بما أمكنهم"[3].ولم يخبروه بحقيقة بيعتهم لعبد الرحمن بن معاوية أميرا عليهم"[4].

كذلك أرسل يوسف الفهري إلى عبد الرحمن بن معاوية كتابا يحذّره فيه من أتباعه الذين انظموا إليه و أنهم أهل غدر ونقض للإيمان المؤكدة ويعرض عليه المال وسعة السلطان والحماية ، وأنه لا يغدر به وقد جاء في الكتاب :أما بعد ، فقد انتهى إلينا نزولك بساحل المنكب ، وتأَبُّش من تأبَّش إليك ونزع نحوك من السُّرَّاق وأهل الخَتْر(الختل) والغَدْر

[1] المقري ،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج1،ص 328 .
[2] ابن عذاري، البيان المغرب،ج2 ،ص45 .
[3] المرجع نفسه ،ج2 ،ص ص 44،45 .
[4] المرجع نفسه ج 2 ،ص 45 .

ونقص الإيمان المؤكَّدة ، التي كذبوا الله فيها وكذبونا وبه ـ جلَّ وعلا ـ نستعين عليهم ،ولقد كانوا معنا في ذَرَى كَنفَ ورفاهيَّة عيش ، غمصوا (غمطوا) ذلك واستبدلوا بالأمن خوفا وجنحوا إلى النقض ، والله من ورائهم محيطُ ، فإن كنت تريد المال وسَعَة الجانب ، فأنا أولى لك ممَّن لجأت إليه ، أكْنفُكَ وأصل رحمك وأنزلك معي إن أردتَّ وبحيث تريد ، ثم لك عهد الله وذمَّته في ألاَّ أغدر بك ، ولا أمكِّن منك ابن عمي صاحب افريقية ولا غيره"[1] .

- **موقعة المصارة والاستيلاء على قرطبة :**

"بدأ كل من الفريقين يستعد عندما انتهى فصل الشتاء وبعد أن فشلت محاولات الصلح بينهما ، وقد تعجل يوسف الفهري و الصميل السير من المورور شمالي قرطبة وانحدرا بمن معهما إلى ناحية مقابلة لطشانة tocina على الشاطئ الغربي للوادي الكبير ، وذلك في أول ذي الحجة سنة 138 هـ755 م فتناوشا والنهر بينهما وكان ماء النهر فائضا فمنعهما من عبوره ، وقيل لعبد الرحمن إنّ عامة من في قرطبة من موالي بني أمية هم يؤيدونه فرأى أن يسبق يوسف إليها ، وحاول إيهام يوسف الفهري بالبقاء، فأوقد نار معسكره بليل، ثم ترك النار موقدة ومضى بمعسكره، وكادت تنجح الحيلة، لولا أن تنبه لها يوسف وصاحبه فأسرعا عائدين إلى قرطبة، فكان مع جيش عبد الرحمن في سباق، ووقف الجيشان مرة أخرى ينظر أحدهما إلى الآخر عند المصارة على مقربة من قرطبة، وكان جند عبد الرحمن في ضيق من العيش حتى أصبحوا يقتاتون بالفول الأخضر، بينما جند يوسف الفهري في رفاهية من العيش، ومع ذلك فقد انظم إلى عبد الرحمن كل من استطاع اللحاق به من اليمنيين وبني أمية من أهل قرطبة"[2] .

وأقبل يوم الخميس التاسع من ذي الحجة سنة 138 هـ (13مايو756 م) فاستبشر به عبد الرحمن ، لأنه يقابل اليوم الذي وقعت في غده معركة مرج راهط ، وانتصر فيها مروان

[1] ابن عذاري، البيان المغرب ،ص ص45،46 .
[2] مؤلف مجهول ،أخبار المجموعة ،ص 86وحسين مؤنس ،فجر الأندلس ،ط1،دار المناهل للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت ،لبنان ،2002 م، ص681 .

بن الحكم على الضحاك بن قيس الفهري، فقرر أن يخوض المعركة الحاسمة مع يوسف الفهري يوم الجمعة التالي، ومن ثم أمر جنده أن يستعدوا ليوم الفصل"[1] .

"وفي صباح يوم الجمعة العاشر من ذي الحجة سنة 138 هـ ، 14 مايو سنة 756 م نظم عبد الرحمن بن معاوية جيشه ورتبه ترتيبا محكما ، ثم عبر الوادي الكبير وأفضى إلى الضفة المقابلة دون أن يعرض له يوسف أو أحد من رجاله ، ويبدو أنه كان ما زال يؤمل في الصلح، وعلى ذلك كان كثير من أنصاره، لم يخوضوا المعركة إلا بعد أن وضعهم عبد الرحمن أمام الأمر الواقع ، فلم يجدوا عن القتال مندوحة"[2] .

دارت المعركة على مقربة من المصارة من أرباض قرطبة وانتصر عبد الرحمن على خصومه، فسار إلى قرطبة فدخلها، وقد قتـل في هذه المعركة ابني كل من يوسف الفهري و الصـميل وكبـار قوادهما ووجوه القيسية والفهريـــة، وفـرّ يوسف إلى طليـطـلة والصميل إلى جنوب جيانا"[3]، ثم لحق الصميل بيوسف الفهري في طليطلة مع عدد من أصحابه، فقوي أمرهما وانظم إليهما من بقي من مضر في تلك الجهات فأخذا يستعدان من جديد للعودة إلى قرطبة والاستيلاء عليها"[4] .

وكان لا بدَّ لعبد الرحمن منذ اليوم الذي استقر فيه بدار الإمارة بقرطبة ، أن يقضي على مقاومة يوسف الفهري و الصميل، فلم تكن هزيمتهما في المصارة كافية للقضاء على آمالهما في الظفر بالإمارة، وبالفعل زحف يوسف والصميل بجيشهما إلى إلبيرة، ففرّ عامل عبد الرحمن على إلبيرة منها، واجتمع أهل إلبيرة من القيسية ليوسف، فبادر عبد الرحمن إلى التحرك نحو معقل الثائرين في إلبيرة قبل أن يستفحل أمرهما وتزداد دائرة نفوذهما، وتابع سيره إلى هناك، حتى وصل إلى قرية صغيرة تسمى أرملة Armilla "[5].على مقربة من

[1] ابن القوطية ،تاريخ افتتاح الأندلس ،تحقيق إسماعيل العربي د ط ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1989 م،ص ص 48،49 .
[2] حسين مؤنس ،فجر الأندلس ،ص 682 .
[3] زيتون محمد ،المسلمون في المغرب و الأندلس ،دط، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية،مصر،1990م ،ص 252 .
[4] الصوفي خالد، تاريخ العرب في الأندلس "الفتح و عصر الإمارة" ،ص 313،نقلا عن ،الشطشاط ،تاريخ الإسلام في الاندلس، ص 92.
[5] أخبار المجموعة ،ص ص 92،93.

معسكر يوسف و الصميل . ولم يكد عبد الرحمن يصل بمن معه من الجند إلى قرب البيرة حتى أحس الصميل و يوسف أنهما لم يستطيعا له حربا، فعرضا عليه الصلح على أن يدع لهما ما كان لهما من الأموال والأملاك، وأجابهما عبد الرحمن إلى ذلك على أن يستودعه يوسف الفهري ابنيه أبا زيد عبد الرحمن وأبا الأسود محمد، واتفق الطرفان كذلك على تبادل الأسرى، وقد تم ذلك في سنة 140 هـ/ 757 م"[1].

ونتيجة لتسامح عبد الرحمن مع خصومه ، وعدم معاقبتهم ، وسياسته الحكيمة، فقد اقبل عليه من المشرق في سنة 140 هـ/ 757 م الكثير من بني أمية ومواليهم، فاستقبلهم الأمير استقبالا جيدا ، واكرمهم ، وأحسن جوائزهم ، وأسند إلى كثير منهم بعض المناصب والولايات"[2] .

ولم يطمئن يوسف الفهري إلى أمان عبد الرحمن بن معاوية ، وظلت المخاوف تساوره من ناحيته ، فلم يزل يتحين الفرصة حتى فرّ من قرطبة في سنة 141 هـ ، وحاول أن يستميل الصميل والشامية إلى جانبه فلم يوفق، فمضى إلى جماعات من البلديين في لقنت و ماردة وطليطلة، ومازال بهم حتى اغراهم بالانضمام إليه ،فثاروا ضد عبد الرحمن في هذه المناطق ،واستبعد عبد الرحمن أن يكون يوسف قد قام بهذا العمل من تلقاء نفسه واهتم الصميل بالتدبير عليه ،و عبثا حاول الرجل تبرئة نفسه و انتهى أمره بأن ألقى به في السجن، وسجن معه ابني يوسف وكانا عنده رهينتين"[3] .

استطاع يوسف الفهري أن يكـوِّن جيشا قوامه عشرين ألفـا ،و اتّجه نحـو اشبيليـة و حاصرها و كان واليها عبد الملك بن عمر المرواني الذي طلب من ابنه عبد الله والي مورور التقدم غليه لفك حصار يوسف عنه ،فلبى عبد الله طلب والده، وأقبل على رأس حشد كثيف انظم غلى جموع أبيه عبد الملك. و في هذه الأثناء زحف عبد الرحمن بن معاوية من

[1] المرجع نفسه ،ص ص 93،94 و إبن عذاري ،البيان المغرب ج2، ص48
[2] ابن عذاري ،البيان المغرب ،ج 2 ص 49 .
[3] ابن عذاري ،البيان المغرب ،ج2،ص 49 و حسين مؤنس، فجر الإسلام ،ص 688 .

قرطبة بجيش كثيف حتى نزل بمحلة يقال لها برج أسامة"[1] وزحف عبد الملك وولده بجيوشهما وراء يوسف الفهري ،بينما تقدم عبدالرحمن بجيشه حتى وصل مدينة المدور ،فخاف يوسف أن يقع بين جيشي ابن معاوية وعبد الملك ولكن عبد الملك ومن معه حملوا حملة رجل واحد على يوسف وجيشه، فانهزم الأخير من ساعته وتفرّق من معه وسار يوسف إلى طليطلة ليحتمي بها عند ابن عروة والي طليطلة، فأدركه عبد الله بن عمر الأنصاري قبل طليطلة بأربعة أميال فقتله، وذلك في سنة 142 هـ –759 م ،وأراح الناس من شره، واحتز رأسه وأقبل به إلى عبد الرحمن بن معاوية"[2]، فأسرع الأخير بقتل أبي زيد بن يوسف، وأبقى على أخيه أبي الأسود لصغر سنّه، ولما أقبل الليل بعث إلى الصميل من خنقه ليستريح من أمره جملة"[3] .

هكذا صفا الجو لعبد الرحمن و صار له أمر الأندلس كله دون منازع، وانتهى على يديه العصر الأوّل من أعصر الأندلس وهو عصر الولاة. واختفى من الميدان آخر رجلين كانا يمثلان هذا العصر في تاريخ الأندلس، اختفيا حاملين معهما ثارات العصبية وأوضار القبلية، وخلفا الأندلس لتقوم فيه دولة إسلامية واحدة تقيم شأن الأندلس الإسلامي بعد أن كاد ينهار.

[1] مؤلف مجهول ،أخبار مجموعة ،ص 96 .
[2] المرجع نفسه ،ص ص 99،100 .
[3] ابن القوطية ،تاريخ افتتاح الأندلس ص ص51،52 و أخبار المجموعة ،ص ص 101،100.

الغربة المكانية هو ذلـــك الإحساس الذي يشعربه الإنسان في بعــده عن وطنـه وهذا النوع من الغربة ليس جديدا على الشعر العربي، فقد أخذ شعراء العصر الجاهلي يعبرون عن غربتهم و تركهم لأوطانهم و حنينهم إلى ديارهم ،أما أولئك الذين خرجوا مع الفتوحات الإسلامية تاركين أوطانهم إلى عوالم جديدة استقروا بها، فقد بقيت معهم ذكرياتهم و عواطفهم مع عالمهم الأصلي الذي رحلوا عنه، و مازال الحنين و الشوق يراودهم من آن لآخر معبرين عن غربتهم في عالمهم الجديد ورغبتهم الشديدة في العودة إلى معاهدهم وديارهم التي حالت الظروف دون عودتهم ونجد التعبير عن هذه الغربة المكانية متناثرا في أشعارهم .

و ظاهرة الغربة المكانية تعد عاملا أساسيا في ازدهار العمل الأدبي ،فقد كان الإنسان العربي محكوما بعنصر المغادرة جغرافيا لأن البيئة شحيحة، أو سياسيا على نحو ما كانت تفعل القبائل بمن تسميهم المخلوعين ثم صار المنفى سلاحا في يد بعض الحكام المسلمين يستخدمونه ضد الشعراء، ولما أصبحت الغربة إحدى الظواهر البارزة، وجد ما يسمى بأدب الغربــاء، وأول كتــاب حمل هذا الاسم كان كتــاب " أدب الغرباء " لأبي فرج الأصفهــاني و حين نتأمل أدب الغرباء نراه يدور حول الدعاء بالعودة ،كقول الشاعر :

سَقَى الله أَيَامَ التَوَاصل غيثــه وردّ إلى الأوطان كــل غريب

فلا خير في الدنيا بغير تواصل و لا خير في الدنيا بغير حبيب

لقد كان الغريب إن لم يكن شاعرا فإنه يكتب شعرا لغيره .

وهناك الكثير من الشعراء الذين عانوا هذا النوع من الغربة والتي كانت بسبب الظروف السياسية من بينهم عبد الرحمن الداخل الذي اضطر إلى الفرار من بطش العباسيين واتجه إلى الأندلس .

شعر الغربة و الحنين عند عبد الرحمن الداخل ما هو إلا مقطوعات جمعناها ، فشعر الداخل من "فن التوقيعات" وهو لون من الأدب الرفيع الذي يؤدي المعنى و المضمون الكثير في عبارات قصيرة مركزة تفي بالغرض، فنراه في الأندلس وبعد أن أسّس الدولة الأموية هناك، واستقرت أموره، يتذكر وطنه ويشتاق إليه حين رأى راكبا يهم بالرحيل إلى المشرق يقول[1]:

أيّها الرّاكـبُ المُيـمِّـمُ أرْضـــــي اقْرَ منّي بعْض السَّلامِ لبَعْــضِي

إنّ جسمـــــي كما علمت بأرضٍ فـــــؤادِي و مالكيْــه بــأرضِ

قُدّر البيـــــن بيننـــا فافترقنـا وطوى البين عن جفوني غمضي

قد قضـــى الله بالفراق علينـــا فعسى باجتماعنا سوف يقضـــي الخفيـــف

نلاحظ عذاب الأمير الأموي ومعاناته حين رسم لنفسه هذه الصورة المأساوية فجسمه بالأندلس وروحه في الشام، حيث أهله ووطنه.

إن كل ما حول الشاعر يشعره بالغربة فحين نزل بمنية الرصافة رأى نخلة، فهيجت شوقه وحنانه إلى وطنه بل وشعر أنها تشبهه في الغربة والبعد عن الوطن يقول[2] :

[1] المقري ،شهاب الدين أحمد ،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تحقيق احسان عباس ،دار صادر، بيروت ،لبنان ،1968م،ج3 ،ص54 .
[2] المرجع نفسه،ج3،ص 56.

تَبَـــدّتْ لنا وَسْطَ الرُصافـــةِ نخلـةُ تناءَت بأرض الغرب عن بلد النخلِ

فقلـــت:شبيهي في التغرُبِ و النَّوى وطولِ التنائـــي عن بنيَّ و أهلـــي

نـشأتِ بأرض أنتِ فيـــها غريبـــة فمثلُكِ في الإقصاء والمنتأى مثلي

سَقَتْكِ غوادي المُزْنِ من صَوْبِها الذي يَسُحُّ و يستمري السِّمَاكَيْنِ بالوَبـل

الكامـــل

هذه النخلة التي تمثل بالنسبة إلى الشاعر رمـــز الوطن، فقد أتى بها من المشـــرق و غرسها في الأندلس وقال في ذلك أبو بكر محمد بن موسى بن فتح ،يُعرَفُ بابن الغراب :دخلتُ يومًا على أبي عثمان بن القزاز وهو يعلق فقلت له: رأيت الساعة في توجهي إليك القاضي والوزراء والحكام والعدول قد نهضوا بجمعهم إلى حيازة الجنة المعروفة ب "رِبَناليش" وهبها هشام للمظفر بن أبي عامر فقال لي ابن القزاز: أن هشاما لضعيف، هذه الجنة المذكورة هي أول أصل اتخذه عبد الرحمن بن معاوية، وكان فيها نخلة أدركتها بسني، ومنها توالدت كل نخلة بالأندلس. قال وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن معاوية وقد تنزه إليها فرأى تلك النخلة فحـن"[1]، وقال[2] :

يا نخـــــل أنتِ غريبة مثلـــي في الغـــرب نائية عن الأصـــل

فأبكـــــي ، وهل تبكي مكبَّسة عجمـــاء لم تطبع علـــى خَبْـــل؟

لـــو أنهـــا تبكـــي ،إذًا لبكـــت مـــــاء الفرات و مَنْبِـــتَ النَّخـــل

لكنهـــــا ذَهَلَـــتْ، وأذهلنـــــي بغضـــي بني العباس عن أهلي

الطويـــل

[1] ابن الأبار ،الحلة السيراء ،تحقيق الدكتور حسين مؤنس ،ط1، دار المعارف ،كورنيش النيل،القاهرة ،مصر،1963م،ج 1،ص ص 98،99 .
[2] المرجع نفسه ،ص 97.

إن المقطوعات الثلاث تتكوّن كل منهما من أربعة أبيات وبحورهن من البحور الطويلة فحين يعبر الإنسان عن آلامه ونفسه وعن حاله واحساساته فإن ذلك يقع في مجال الخبر، ويأتي لذلك البحر الخفيف والكامل هذا الأخير الذي يناسب السجن و الرومانسية ،والحديث عن النفس و ذكرياتها و شوقها، يحتاج إلى تفصيل وشرح وتوضيح وهو ما يحتمله البحر الطويل، كذلك فإن الحديث عن الحنين إلى أماكن، أو فترة يحتاج إلى الكثير من الوصف وهو ما يناسب البحر الطويل أيضا، ،أي أن البحور الطويلة هي المناسبة في شعر الغربة والحنين .

في **عصر الإمارة** نشط الشعر وكان العدد الأكبر من الأمراء الأمويين في الأندلس شعراء، منهم عبد الرحمن الداخل (113،172) الذي اتسم شعره بالرقــة والتميز، وقد طرق في شعره موضوعات عدّة من بينها: الوصف الذي كان يحمل سمات الشعر الأندلسي الذي نهض بنقل الإحساس بأدوات فنية جديدة متقنة؛ مع غلبة الجانب العاطفي، و هذه السمة الوصفية تعد من التجارب الشخصية، التي طبعت شعراء الأندلس وهذا ما نجده في وصفه للنخلة إذ قال فيها[1] :

تَبَدّتْ لنا وَسْطَ الرُصافةِ نخلــةُ تناءَت بأرض الغرب عن بلد النخلِ

فقلت :شبيهي في التغرُبِ و النَّوى و طولِ التنــائي عن بنيَّ و أهلــي

نشأتِ بأرض أنتِ فيها غريبــــة فمثلُكِ في الإقصاء و المنتأى مثلــي

سَقَتْكِ غوادي المُزْنِ من صَوْبِها الذي يَسُحُّ و يستمــري السِّمَاكَيْــنِ بالوَبْــل

الكامـــــل

تناول عبد الرحمن في هذه الأبيات كما قلنا سابقا موضوعــا تقليديا وهو الوصــف ولكنه يلّح على الجانب العاطفي فيبرزه بحيث يكاد يخفي ما سواه من جوانب أخرى، فلم يصف النخلة في طولها ولا في لونها ولا ثمرها، و إنّما ترك ذلك كلَّه ليصف النخلة بأوصاف عاطفية فصوّرها بصورة نفسية، والصورة كما عرّفها "علي البطل" بأنها "شكل لغوي يكوّنها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها"[2]، فالصورة الشعرية ترتبط بالواقع من حيث كونــها تستحضر المرئيات في الذهن عن طريق الحــواس ولكنها غالبا ما تعيد تشكيل هذا الواقع وفق الواقع النفسي للشاعر، وبذلك يعبّر عن تجربته الشعورية و يتخذها الشاعر أداة لتصوير هذا الواقع الداخلي و تجسيد مشاعره و أحاسيسه من خلالها .

[1] المقري ،شهاب الدين أحمد ،نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،ج2 ،ص 56.
[2] البطل علي، الصورة في الشعر العربي ط2، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1981م، ص 30.

فعبد الرحمن صوّر لنا واقعه الداخلي وجسد مشاعره من خلال النخلة التي تعتبر مرآة تعكس ما في نفسيته، و ما في وجدانه فيحمّلها من الغربة والفراق والبعد ما يعانيه الشاعر ولا تهمّه الصور الفنية، وإنّما الدفقة الشعرية فهو يحمِّل هذه النخلة معاناة البعد عن المشرق وهذه الأبيات تعبِّر عن مرارة عبد الرحمن الداخل لذا ظهرت هذه النغمة إذ يقول:

تَبَدّتْ لنا وَسْطَ الرُصافةِ نخلةُ تناءَت بأرض الغرب عن بلد النخلِ

تبدَّت يعني تبدو لنا و كأن شيئا ظهر فجأة لأن النخل لم يكن معروفا في الأندلس فقد اقتلع النخل من جذوره وزرع في الأندلس.

في هذا البيت نجد فاصلا بين كلمة النخلة والفعل تبدَّت هذا يشير إلى أنه بعيد فالأندلس بعيدة عن المشرق، والشاعر لم يُعَرِّف النخلة لأن التنكير يفيد العموم والإطـلاق ولكي يحمِّلها ما يريد من الغموض، فيرجع هذه النخلة إلى العهود الأولى إلى أرض الأجداد و يريد أن يرمز بخروج النخلة إلى نفسه بأنّه قُلع من جُذوره مثل هذه النخلة، ثم يُؤكد على أنّ ما يمزِّق كبده هو البُعد والفُراق، عبد الرحمن الداخل عبّر عن تعلقه وحنينه إلى المشرق عندما" بنى في شمال غرب قرطبة قصرا صيفيا على سفح جبل قرطبة سماه قصر الرصافة محاكيا في ذلك قصر جده هشام بن عبد الملك"[1] "في شمـال شـرقي تدمر بالشـام و سمّاه بهذا الاسم أيضا"[2] وذلك لتعلقه به وحنينه إليه، ثم في الشطر الثاني يقول تناءت ونحن تعلمنا بأن كل زيادة في الصيغة الصرفية تتطلب زيادة في المعنى، ولقد أشار إلى ذلك البعد عن طريق المسافة بين الكلمات، ثم أكدّها بطريقة أخرى من التكرار، وذلك للزيادة في المعنى، ويقصد الداخل هنا بالغرب الأندلس، و بلد النخل المشرق، و التكرار يأتي بعدّة صور قد تكون بتكرار اللغة، ربّما بالصّيغة الصرفية، أو بالمعنى، وذلك تكراره في كل القصيدة بل في كل شطر من القصيدة وهذا من أجل التخلص من الحمولة الشعرية التي

[1] الشطشاط ،علي حسن ،تاريخ الإسلام في الأندلس، د ط ،دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ،القاهرة، مصر ،2001م،ص100 .
[2] سيمون حايك ،عبد الرحمن الداخل قصة وتاريخ ، د ط،1982م،ص 173،www.al-mostafa.com.

يعانيها الشاعر، فالشاعر يعاني مرارة الفراق والبعد ويريد أن يتخلص من هذا الشعور فيكرّر في المعاني ثم يقول لها :

فقلت :شبيهي في التغرُبِ و النَّوى و طولِ التنائي عن بنيَّ و أهلي

إنّ الشاعر يخاطب النخلة رغم أنها لا تسمع ولا تتكلم فيقول: فقلت شبيهي فهو يعكس من خلالها ما يريد أن يقول لأنها تشبهه، غريبة، بعيدة عن أهلها وإخوانها في المشرق مثله إذن فهـي تشبهه في مختلف الظروف حالها لحاله في الغربـة والبعد والألـم والشوق والحنين والبكاء ،ثم يقول التغرب والنوى، وهنا المعنى واحد، فقد جاء التكرار بصيغة المعنى ولم يكتف بذلك بل قال و طول التنائي أي طول البعد، "فالتكرار يظل دائرا في فلك النبض النفسي للشاعر، وما يجلبه من ألفاظ يكون الإلحاح عليها، أو على جملة مهمة من العبارة لاتصال دلالاتها الشعورية والنفسية بالحالة التي تسكن الشاعر"[1].فالداخل في هذا البيت يحمّل النخلة مشاعره الحزينة ، والتنائي ليس عن بنيه فحسب بل عن أهله جميعا .

ثم يقول :

نشأتِ بأرض أنتِ فيها غريبة فمثلُكِ في الإقصاء و المنتأى مثلي

و هو يؤكد بأن هذه النخلة في أرض غريبة مثل عبد الرحمن الذي أسس دولته وبنى قصوره في أرض بعيدة عن أرضه الغالية التي أقصي عنها، والإقصاء يكون بمعنى الإكراه فالشاعر أُبْعِد عن وطنه، وهو مكره مرغم على ذلك ،ثم يدعو الشاعر لهذه النخلة بالسقيا فيقول :

[1] بكاي ،اخذاري ،تحليل الخطاب الشعري،د ط ،وزارة الثقافة ،2007،الجزائر ،ص 60 .

سَقَتْكِ غوادي المُزْنِ[1]* من صَوْبِها[2]* الذي يَسُحُّ[3]* ويستمري[4]* السِّمَاكَيْنِ[5]* بالوَبْلِ[6]*

و هذا الأسلوب معهود في الشعر العربي أن يدعو الشاعر لأرض محبوبته ولقبيلتها بالسُّقيا.

إنّ الشاعر ربط بين حاله والنخلة في غربتها وقد كانت لغته واضحة، ومفرداتها موائمة للغرض المنشود، فلمسنا شدة الشوق والمعاناة والحزن العميق، فهومن خلال الكلمات يبرز فكرة التوحد في الحزن والغربة مع سرد الذكريات التي عاشها، و ذات جرس متجانس مع شدة الشوق .

وهذه الأبيات تندرج في إطار الشعر الوجداني الذي تستسيغه النفس، لما ينطوي عليه من صدق ومعاناة، يتأثر بهما القارئ ويتدخلان مع معاناته وإحساسه دون قيد بحدود الزمن. وقد كشفت النخلة الجانب الإنساني في شخصية الداخل، الذي سرعان ما يغلب عليه الجانب الآخر عند خروجه من هذه اللحظة إلى الواقع الصعب، ولكنه ليس خروجا نهائيا حيث يعود إليها مع كل سانحة تهوى النفس فيها مرابع الأيام الخوالي، فلا يدعها إلا قد أفرغ زاده من الحنين، فيّاضا كما غوادي المزن، تستدر المطر الشديد، على نحو ما انطوى عليه البيت الأخير، الذي يعتبر الأكثر متانة و قوة، ولعل النخلة التي ترمز إلى البادية، وتعتبر الشجرة اللصيقة بذاكرة العربي، بدءا من مرابعه الأولى في شبه الجزيرة إلى مرابعه المستجدة مع الفتوح، كانت أقرب الأصدقاء إلى قلب عبد الرحمن، لما بثها من شجون لم يكن يسمح له كبرياؤه بالإفضاء بها لسواها .

[1] *غوادي المزن: الغوادي جمعُ غادية، وهي سحبُ الصباح الباكر التي عادةً ما تكونُ مُحمّلة بالخيرات الوافرة،.مزن :مزن في الأرض مزنة واحدةأي سار عقبة واحدة .لسان العرب،مادة (مزن) ،مجلد 3،ص351.

[2] *الصوب: المطر.

[3] *يسحّ:من السح أي الثمر الذي لم ينضج بماء .و قيل إنه ثمر يابس لا يكنز ،و قيل سح الماء أي مر على وجه الأرض .لسان العرب، مجلد 2 سحّ الماء و سحوه :سال من الأعلى إلى الأسفل ،يسح الماء سحّا أي صبه صبا متتابعا كثيرا. مجمع اللغة العربية ،المعجم الوجيز،ط1،مجمع اللغة العربية ،جمهورية مصر العربية ،1980م،ص 304.

[4] *يستمري :يستدر.

[5] *السماكين :نجمان مضيئان.

[6] *الوبلُ: المطرُ الشديد .لسان العرب مادة (وبل) مجلد 3،ص364 .

إن من سمات الوصف في الشعر الأندلسي: التشخيص :أي إسباغ الحياة على الأمور المعنوية أو على الجمــادات و تجسيمها و مخاطبتها مخاطبة الكائــن الحي ،وهي سمة انتشرت في الشعر الأندلسي كثيرا وهذا ما نجده عند عبد الرحمن الداخل إذ يخاطب النخلة يقول:

يا نخـــــلُ أنتِ غريبة مثلـــي في الغرب نائية عن الأصــل

فابكـــــي ، و هل تبكي مكبَّسة عجماء لم تطبع على خَبْـــل؟

لو أنها تبكـــــي ،إذًا لبـــكت ماء الفرات و مَنْبِتَ النَّخـــل

لكنها ذَهَلَــتْ ،و أذهلنـــــــي بغضي بني العباس عن أهلي الطويـــــل

جاء تصوير الشاعر لحالة البعد بينه و بين النخلة تجسيدا و تشخيصا للمعاناة، ويعد التشخيص والتجسيد "جناحي المجاز الإستعاري وبهما ينتقل المعنى المجرد إلى تعبير مجسد من غير التجاء إلى أدوات التشبيه و المقاربة "[1] ويعني التشخيص الأنسنة "أي نسبة صفات البشر إلى أفكار مجردة أو إلى أشياء لا تتصف بالحياة "[2]،أما التجسيد "فهو إضفاء صفة الماديات على ما هو مجرد "[3] هكذا جعل الشاعر النخلة إنسانا حيّا، فهي تشبهه "من حيث استقامة قدها وطولها وامتياز فحالها عن أنثاها وإخصابها باللقاح الظاهر للعيان، ولو قطع رأسها هلكت، ولها غلاف كالمشيمة التي يكون فيها الولد ،والجمار الذي في رأسها لو أصابته آفة هلكت النخلة لا محالة فهو بمنزلة المخ مـن الإنسان إذا أصابته آفــة ولو قطع منها سعفة لا يرجع بدلها فهي كعضو الإنسان وعليها ليف يشبه الشعر الذي في الإنسان"[4].

[1] سلمى الخضراء،الإتجاهات والحركات في الشعرالعربي الحديث،ترجمة عبد الواحد لؤلؤة،ط1،مركز دراسات الوحدة العربية،،بيروت، لبنان، 2001م،ص747.

[2] مجدي وهبة ،معجم مصطلحات الأدب،ط2،مكتبة بيروت ،بيروت لبنان،1984م،ص 358 .

[3] المرجع نفسه ،ص315 .

الإنسان"[1]. والشاعر في هذه الأبيات يخاطب النخلة ، وكأنها امرأة تشاركه غربته ويقرن حاله بحالها إذ يقول:

يا نخلُ أنتِ غريبة مثلـــي في الغرب نائية عن الأصـــل

و قد افتتح بيته بالنداء خاصة باستعماله حرف يا الذي يعبّر عن رغبة الشاعر في الإفصاح عما بداخله وهو باستعماله النداء ينبه السامع ليشاركه غربته، والنداء يفيد الشكوى والبوح، فالشاعر ينادي النخلة لأنهما يشتركان في نفس المحنة وهي الغربة فيقول لها يا نخل وهي" استعارة مكنية"* شبه النخلة بالإنسان العاقل الذي يسمع الشكوى يخاطبها ويقول لها أنها غريبة مثله ، وأنها بعيدةٌ عن موطنها الأصلي، وعن كل ما يُحيطُ بها من نخيل، فهو يُسقطُ ما يشعرُ به على هذه النخلة، فتشعرُ بمشاعره، وقد جاءت كلمة مثلي والتي تعود على الشاعر قريبة من كلمة النخل وذلك لأن النخلة تمثل في اللاوعي الجمعي عنصرا مشابها بالإنسان، وقد جاء ذكر النخل في القرآن الكريم تنويها بمكانته وتنبيها على منزلته في آيات بينات كثيرة منها قوله تعالى:" وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ "[2]، و قوله تعالى: أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ "[3] كما ذكر الرسول صلى الله عليه و سلم هذه الشجرة الكريمة المباركة و أتى عليها و امتدح ثمارها ،و رغب في إكرامها و أكْل ثمرها فقال صلى الله عليه وسلم "أكرموا عمتكم النخلة "[4].

وقال أبو حاتم سهل بن محمد السِّجستاني رحمه الله "النخلة سيدة الشجر، مخلوقة من طين آدم صلوات الله عليه "[5]، وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله

[1] ابن وحشية، النبطي ،كتاب النخل ،تحقيق ،إبراهيم السامرائي،د ط ،مجلة المورد ،بغداد،العراق، 1971م،ص 70.
*الاستعارة المكنية :حذف المشبه به و الرمز إليه بشيء من لوازمه ،الحسين قصي،انثروبولوجية الأدب ،ط1،دار و مكتبة الهلال ،بيروت ،لبنان 2009م ،ص 105.
[2] الرحمن،10،11 .
[3] عبس، 25،29.
[4] ابن وحشية،النبطي ،كتاب النخل ،ص70 .
[5] السجستاني ،ابو حاتم ،النخلة ،تحقيق حاتم صالح الضامن ،ط1،دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشروالتوزيع ،بيروت،لبنان،2002م،ص29 .

عليه وسلم: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنّها مثل المسلم، حدثوني ماهي؟ قال فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله فوقع في نفسي أنَّها النخلة ثم قالوا: حدِّثنا ماهي يا رسول الله، قال هي النخلة "[1].

فحين يرى الغريب النخلة يرى فيها امرأة تشاركه الغربة و الحنين فيأمرها أن تبكي بقوله:

فابكي ، و هل تبكي مكبَّسة عجماء لم تطبع على خَبْل؟

في هذا البيت عمل الشاعر على تصوير شيء تجريدي (اغتراب نفسي) بشيء حسي مادي ملموس فقد عمل على تجسيم الحالة النفسية من خلال النخلة فهو يأمرُها أن تبكي وهي صورة وجدانية نطل من خلالها على نفسية الشاعر و همومه الذاتية التي يفيض بها وجدانه ،فالشاعر يضمّن هذه الصورة "صورا عاطفية تخاطب وجدان المتلقي مباشرة ،و تنفذ إلى أعماق روحه مؤثرة فيه التأثير الفني المشروط بقوة المثير الشعوري المنبجس من حقيقة الشاعر الوجدانية"[2]،و يستخدم الشاعر في هذا النوع من الصور الألفاظ العاطفية المشحونة بالانفعالية مثل :البكاء ،الشوق ،اللوعة ،الفراق وهذا ما نجده عند الداخل ، ثم يتساءل كيف ستبكي وهي لا تستطيع الكلام، ولكنّه يراها، وإن كانت لا تتحدث فهي كشخصٍ واعٍ متزن فاهم، ثم يقول :

لو أنها تبكي ،إذًا لبكت ماء الفرات و مَنْبِتَ النَّخل

ولو أن تلك النخلة استطاعت أن تبكي كما يبكي الناس لبكت شوقًا إلى ماء الفرات، فالنخل عربي الأرومة و النُّجار ليس في بلاد الشرك شيء منه، قدره الله جل وعز للعرب في جزيرة العرب و في المشرق و أكثره في العراق وقال أبو حاتم في كتابه النخلة "سمعت الأصمعي يقول سمعت هارون أمير المؤمنين يقول نظرنا فإذا كل ذهب وفضة على وجه الأرض لا

[1] البخاري ،ابن مغيرة الجعفي ،الجامع الصحيح ،ط1،دار طوق النجاة ،بيروت ،لبنان ،،ج2،1422هـ ،ص 34 .
[2] عيكوس ،الأخضر ،الصورة الشعرية في القصيدة الجاهلية دراسة بلاغية نقدية ،رسالة ماجيستر ،جامعة قسنطينة ،1986م ،ص 230 .

يبلغان ثمر نخل البصرة "[1]. والماء رمز الحياة بالنسبة للشعراء فهو أكثر العناصر حراكا فيما يعرف ب "الخيال المادي" الذي يتراءى في أبهى تجلياته في الأدب، وعلى نحو أكثر تحديدا في الصورة الشعرية، وهي سمة تعمقها و تؤصلها محمولاته السخية على صعيدي الأساطير و الشرائع، لقد أدرك الإنسان منذ فجر تاريخه أن الماء هو الشرط الأول من شروط حياته فنظر إليه بحب و تقديس، ورأى فيه" قوة خلاقة، وإرادة إلاهية لإنتاج حياة جديدة، وكائنات جيدة فالماء هو عنصر الخلق في الفكر الميثولوجي يُصدر الأوامر المشددة التي يتألف منها رقي الكاهن، تلك الأوامر التي تسكن من ثائـــرة القوى الساخطة، وتطرد الأرواح الشرّيرة التي تهاجم الإنسان"[2]،إن للتعالق الإشتراطي بين الماء والحياة سطوة لا تنهض بها في رؤيا الشاعر سوى علامات السلطة والإرادة المطلقة التي يتمركز الماء في قطبها الخالق، محققا حضوره الفاعل في النسيج العلاماتي من خلال بعدين :

البعد التطهيري :فالماء هو القوة المطهرة للأدران الروح و الجسد، فالماء "يتلقى صور النقاء كافة "[3]، بوصفه إرادة التطهير التي تشف عن كل ماهو جوهري وقديم في الأشياء .

أما **البعد التخصيبي:** فالماء مُذكَّر فلسفيا على ما يبدو معه اللاشعور الإنساني الجمعي ساعيا إلى ترسيخ قطبية زوجية ما، في مقابل القطب المؤنث :الأرض، فالماء بسلوكه الذكري يحرض الخصوبة الكامنة في الرحم الكوني الأرض/ الأم الأولى، يمنحها طاقة الخلق والتواصل ،وغيابه عنها نظير رمزي لاستحالة التخصيب وبالتالي استحالة تحقيق الولادة الجديدة. فالشاعر في قوله إذا لبكت ماء الفرات ومنبت النخل، و هنا نجد القطب المذكر المتمثل في الماء و الفرات (العراق) هي الأرض و هي القطب المؤنث و النخلة هي التي وُلدت من هذه الثنائية فأرض الفرات(العراق) بالنسبة للنخلة هي الأم الأولى لها .

[1] السجستاني ،أبو حاتم ،النخلة ، ص 5.
[2] فرانكفورت و آخرين ، ما قبل الفلسفة ،ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ،المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،بيروت ،لبنان ،1980م، ص ص 171،172 .
[3] غاستون باشلار ،الماء و الأحلام ،ترجمة علي إبراهيم ، ط1، مركزدراسات الوحدة العربية ، ،بيروت،لبنان ،2007م،ص 31 .

إن عبد الرحمن يسترجع ماضيه من خلال ماء الفرات ذلك النهر العظيم الذي يعتبر من الأمكنة المائية التي تصل حاضر الإنسان بماضيها عبر دلالتها الكامنة في عمق اللاشعور الجمعي للإنسانية ،في رحلة العودة إلى البدايات و قد رسخت الميثولوجيا هذه السمة الرمزية للماء، مثلما نجد في ملحمـــة كلكامش وملاحم الإغــريق، فتارة يبدو الماء قوة جبّارة للخلـق ،و أخرى يبدو أفقا للسفر إلى المجهول بحثا عن الحقيقة و الخلاص و تارة يتخذ مظهر الألوهة و القداسة ،أو يبدو قوة جبارة للغضب الإلهي تعصف بأحلام الإنسان ،كما رسخت الكتب السماوية هذه الامتيازات الدلالية للماء سواء في العهدين القديم و الجديد أو في القرآن الكريم حين جعلت منه مبدأ للصيرورة الكونية، كما في قوله تعـــالى:"أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ "[1]،و قوله تعالى:"وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧ "[2] فقد جعل الخطاب القرآني من الماء رحما إنبثقت منه الحياة .

فالنخلة تمثل بعدا عربيا أصيلا، غير أنها قد انتزعت من تربتها الأصلية لتستنبت في أرض غريبة هي أرض الأندلس، ورغم كون الأندلس لا تمثل مكانا غريبا بالنسبة للعرب و المسلمين في و قت سابق، غير أنها بالنسبة للنخلة تمثل حالة غربة واضحة، من حيث كونها غربة طقس وبيئة وأرض غير معهودة، ولهذا يقول الشاعر لو كانت تستطيع البكاء لبكت على كل ذلك، وهنا الشاعر يحاول أن يخفف عن رغبته في البكاء بإسقاط ذلك على النخلة .

[1] الأنبياء،30 .
[2] هود ،07.

و الإسقاط هو حيلة دفاعية "نبـذ فيها الشخص من ذاتــه بعض الصفات والمشاعـر و الرغبات و حتى بعض الموضوعات التي ينكر لها و يرفضها في نفسه لكي يموضعها في الآخر، سواء أكان هذا الآخر شخصا أم شيئا "[1]و هذه المشاعر والرغبات تمثلت في البكاء.

لكنّه لا يمنعنا من أن نقرأ هذا المعنى كدلالة تحيل إلى نفسية الشاعر التي أرهقتها الغربة و أرقها الحنين.

لكنّها ذَهَلَــتْ ،و أذهلنــي بغضي بني العباس عن أهلي

إنّ تلك النخلةَ تشاركُ الشاعرَ بُغضه بني العبّاس في المشرق، لأنّهم كانوا السبب في التشرّد والخروج من تلك الديار التي تُشكّل رمزًا لوجود الإنسان الأول، فبمغادرتِه لذلك الوطن مُرغمًا مُكرهًا فقد فَهمَ ذلك على أنّه إلغاءٌ لوجودِه بكلّ ما فيه من مُستويات فكرية وعاطفيّة، من ذكريات وأيام .

لعّل لوعة الشكوى التي كَلَف إليها الشاعر عبد الرحمن الداخل تكشف عن دواعيها بإطار الصراع النفسي الذي واجهه الشاعر في غربته، ذلك الصراع ظهرت أبعاده بحواره مع النخلة حيث نقلها من واقعها الحقيقي إلى رمز تتمثل فيه كل صفات الإنسان، فهي تشتكي و تتألم من الغربة .

هذه الشكوى التي عبّر عنها الداخل في المقطوعتين بكلمات أحدثت إيقاعا عكس لنا نفسيته، "وفق التجــربة التي خاضها، والمرتبطــة بالحدث الذي يلتحم مع هــذه التجربة"[2]، والإيقاع بمفهومه الأدبي المتداول عند العديد من الدارسين الذين يعرفونه بأنه "حركة الأصوات الداخلية التي تعتمد على تقطيعات البحر أو التفاعيل العروضية "[3]، وأنه "موسيقى ناتجة عن وسائل متعددة أهمّها التكرار ،تكرار كلمات معينة أو متشابهة أو حرف أو حروف

[1] فيصل عباس،التحليل النفسي للشخصية ،ط1،دار الفكر اللبناني بيروت ،لبنان ،1994،ص 44 .
[2] عبد القادر فيدوح ،الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ، ط1،دار صفاء للنشر و التوزيع ،عمان ، الأردن ،2010 ص 650 .
[3] عز الدين إسماعيل ،الأسس الجمالية في النقد العربي ،ط2،دار الفكر،1968 ،ص 374 .

متحدة المخرج أو متقاربة أو ذات صفة جرسية واحدة "[1]، فرغم اختلاف المقطوعتين في الإيقاع بسبب "تغير طبيعة الصورة الشعرية في بنيتها الانفعالية فتصبح ذات تفعيلات متنوعة، ولذلك يلجأ الشاعر إلى تنويع البحور"[2]، فإن اتفاقهما في حرف الروي والقافية سيكون مفتاحا مهمّا للتوغل في أعماق الداخل، ذلك أن حرف الروي "اللَّام" الذي تكرر في نغم صوتي متجانس يجلب انتباه الأسماع فهو من الحروف المجهورة الرخوة، والرخاوة والجهر صفتان دالتان على شخصية تعيش تجاذبا يتجلى من خلال اكتناز القصيدتين لمجموعة من الحروف الانفجارية مثل الباء ،الدال ،الكاف ،التاء الضاد ،الهمزة ،فكأنما بين الروي "اللام" و الحروف التي يتضمنها الحشو ما يكشف عن التجاذب الوجداني الذي يميّز شخصية الداخل، فهو يتكئ على حرف رخو مجهور مكسور لكنه يخرج من بين مجموعة حروف انفجارية شديدة و التي تعبّر عن رفض الشاعر الداخلي لمكان الغربة، و لقد اختـــار حروف المـــد و الليـــن التي تعبر عن إخراج الحزن الذي ســكن قلبــه بسبب بعده عــن وطنه و أهلـــه، و تعكس لنا الحالة النفسية الكئيبة للشاعر مثل :لنا ،تناءت ،النوى، التنائي، أهلي، طول ،فيها ،الإقصاء ،المنتأى ،مثلي، غوادي ،يستمري ،يا ،نائية ،أنها عجماء.

أما القافية و التي تعتبر عنصرا أساسيا لبناء القصيدة من حيث كونها تميز نهاية البيت ،وتهبه وحدته ،فهي "ضرورة نفسية يلجأ إليها الشاعر حتى و لو كان ذلك دون وعي منه للتعبير عن مشاعره الداخلية التي تعكس انفعاله في إفرازات نفسية متتابعة "[3] فلقد جاءت مقيّدة ،و هذا التقييد ساهم في إبراز جانب الغضب و الحزن المكبوت.

[1] يحي الشيخ صالح ، شعر الثورة عند مفدي زكريا ،دراسة تحليلية فنية ،ط1،دار البعث ،قسنطينة ،1987م،ص 294 .
[2] :فيدوح عبد القادر ،الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ،ص 467 .
[3] المرجع نفسه ،ص 472 .

من خلال المقطوعتين "ظهر عند الشاعر المزج بين الحنين و الطبيعة ،فتكون تلك الصور معبّرة عن الحالة الجديدة التي يعيشها في غربته مع سعة الحال"[1]، فرغم المجد والجاه الذي حقق الداخل في الأندلس إلاّ أن حنينه إلى أهله لم ينقطع فيقول :

أيها الرّاكــبُ المُيـمّمُ أرْضــي أقْرِ من بعْضِي السَّــلامَ لبعْــضِ

إنّ جسمـــي كما عَلِمتَ بأرضٍ و فــُـؤادِي و مالكيـــْه بـــأرضِ

قُدّر البَيـــن بينـــنا فافـترقنـا و طوى البين عن جفوني غمـضي

قد قضـــى الله بالفـراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضـــي

لقد عبّر الشاعر في هذه الأبيات عن حنينه إلى وطنه وقد برز فيها طابع الحزن وهذا من خلال الكلمات مثل البين ، الفراق ،الفؤاد ،كما أنه ألح في ذكر الأرض و منحها ياء النسب ليؤكد هذه الصلة الحميمية وهذا ما نجده في قوله :

أيها الرّاكــبُ المُيـمِمُ أرْضـي أقْرِ من بعْضِي السَّــلامَ لبعْــضِ

افتتح الشاعر هذه المقطوعة ب **أيُّها** التي تفيد النداء و تستعمل لاستحضار تنهدات نفسية عميقة ،و الميَمِمُ هو اسم فاعل من يمَمَ المكان :إذا قصده و الشاعر هنا يطلب من المتوجه إلى المشرق أن ينقل له السّلام لنصفه الآخر فيقول أقر من بعضي السلام لبعض فهو مجزء نصفه في مكان والنصف الآخر في مكان آخر فيقول :

إنّ جسمـــي كما عَلِمتَ بأرضٍ و فــُـؤادِي و مالكيـــْه بـــأرضِ

إن مكان الألفة يجذب الشاعر إليه فيشعـر فيه بالمتعة بينـما مكان الغربة يشعره بالوحـدة والحزن وهنا يحدث التناقض بين الألفة والغربة هذا التناقض الذي يختلج الشاعر أثناء إقامته وتواجده في المكان الثاني، فالشاعر هنا يؤكد على أن جسمه بأرض ويقصد بها

[1] أمل رحمة ،وحميدة البلداوي ،باعث العاطفة في حقول التراجيديا في الشعر الأندلسي،مجلة البحوث التربوية والنفسية ،العدد 17،دت،ص119.

المغرب و فؤاده ومالكيه بأرض أي المشرق،" وهكذا وعلى محور ثنائية الألفة /والغربة يتشكل خطاب الغربة و الحنين المكاني و يتجاذب قطبان :الألفة المشرق/ والغربة الأندلس ومن خلال هذا التقاطب تظهر لنا رؤية التجاذب النفسي بين المكانين التي تسيطر على ذات الشاعر. الداخل هنا لا يقصد فؤاده قلبه ،إنما ما يرسخ في القلب من ذكريات وهموم عن وطنه، وفي هذا البيت شطّر الشاعر روحه إلى نصفين الشطر الأول من البيت هو الجسد الموجود في المغرب (الأندلس)، والشطر الثاني روحه الموجودة في المشرق وهي صورة تعبّر عن نفسية الشاعر المنكسرة، فرغم الملك و الجاه الذي حققه في الأندلس إلاّ أن روحه بقيت متعلقة بالمشرق، فقد غادر موطنه مرغما وقد ذكر ذلك في قوله :

قُدّر البَيـــن بينـــنا فافترقنـا و طوى البين عن جفوني غمـضي

وفي هذا البيت جاء الفعل قُدر مبني للمجهول لأنه فارق وطنه مكرها فابتعد عن أهله ، وقد كرّر الشاعر كلمة البين أي الفراق هذا التكرار الذي من خلاله يريد الشاعر أن يخفّف من مرارة الفراق الذي أبعد النوم عن جفونه، فتكرار الألفاظ والعبارات له هدفه الخاص في نفس الشاعر، ويقصد من وراءه غرض يفهم من السياق ومن ظروف الشاعر، فالعبارة التي يكررها الشاعر تؤدي إلى رفع مستوى الشعور في القصيدة إلى درجة غير عادية يجعله يستغني به عن عناء الإفصاح المباشر وإخبار القارئ بالألفاظ على مدى كثافة الذروة العاطفية ، فإن أراد الشاعر أن ينفس عن ضيق في صدره يكرر ذكر الألفاظ (البين، فافترقنا طوى البين) ،وهذا يدل على أن صورة المكان الأول هي الصورة النموذجية على مستوى الخطاب المكاني بينما ظل المكان الثاني (مكان الغربة) هامشا إضافيا يغذي تجربة الحنين و الغربة ويعمقها ويبقى المكانان مكان الألفة ومكان الغربة يمثلان فرحا وحزنا ،ليتمثل الشاعر الحزن في مكان الإقامة الجسدي، ولذا فهو يهرب من الحزن إلى الفرح من خلال أمله في اللقاء والشاعر بقضاء الله راض إذ يقول :

قد قضـــى الله بالفـراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضـــي

فالشاعر مؤمن أن الله هو الذي قدر عليه هذا الفراق و أن هذا الأمر ربانيا لم يكن بيده إلا أنه لم ييأس و عسى الله أن يجمعه مع أهله و يقضي بذلك، والقدرية في التحليل النفسي تبين أن صاحبها قد بلغ العجز منه أقصاه، وأنه في حالة هروب مقنع من الصراع الذي دخل حلبته، هي استجابة استسلاميه توهم النفس من خلالها بأنّها حين تؤمن بالقدر فإنها ستكافأ بانتظار الفرج، لهذا لاحظ الدارسون أن ظهور هذه الاستجابة" يكون حين يصل عجز الإنسان مداه، و تنعدم قدرته على توجيه الأحداث و التأثير في الظروف وهي تضمن محاولة ذاتية للسيطرة على المصير من خلال القول أن هذه هي طبيعة الأمور.. مما يدخل بعض العزاء إلى النفس و الطمأنينة إلى أن القدر إن قسا مرة، فلابد أن يأتي بعد ذلك فرج.."[1] .لقد استطاع الشاعر من خلال هذه المقطوعة التأثير في نفسية المتلقي وذلك من خلال كلماته التي كانت تحمل في ثناياها عاطفة واضحة ،و"التي بدت و كأنها زفرات قلب لم تستطع صروف الدهر انتزاعه من تلك الأرض"[2] فقد انعكس موضوع هذه الأبيات على البناء الفني، الذي جعلها تتسم بالرقة و السهولة، فضلا عن خفة وقعها على الأذن، وذلك للحروف الانفجارية التي اكتنزتها مثل: الباء، الدال، الكاف، التاء، الضاد وحرف الروي "الضاد" المكسور و هو حرف رخو مجهور استخدم كقافية ارتكازية والذي يعتمد على قدرة واعية من لدن الشاعر لتوظيف دلالة الكلمات الحاوية لهذا الحرف الصعب، فنادرا ما يستعمل هذا الحرف في القصائد العربية وفي بناءاتها الشعرية وتلك ميزة لهذا الحرف الأصيل الذي يعبر عن الأصالة العربية للشاعر، هذا الحرف الذي يحسن توظيف المفردات الضادية: مثل غمضي، أرض بعضي، قضى، يقضي. وتقييد القافية في هذه المقطوعة يعبّر عن رغبة الداخل في العودة إلى الوطن و لكنه مقيّد لا يستطيع فعل ذلك، ولكن يبقى أملـــه في الله سبحانـــه و تعالى .

[1] مصطفى حجازي، التخلف الإجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ،ط9،المركز الثقافي العربي ،بيروت،لبنان ،2005م،ص163.
[2] بيضون إبراهيم ،الأمراء الأمويون الشعراء في الأندلس ،دراسة في أدب السلطة ،د ط ،دار النهضة العربية ،1987م،ص 152 .

إن الوقفة المتأنية مع حيثيات هذه المقطوعات الثلاث تكشف لنا التناقض النفسي الواضح الذي ظهر في شعر الداخل و الذي توزع بين اللين تارة و القوة تارة أخرى و هذا يدل على أن الشاعر لحظة نظمه لشعره كانت تتجاذب ذاته صراعات نفسية بين أقطاب الجهاز النفسي الهو، الأنا، والأنا الأعلى، ومن خلال هذه التجاذبات يتكشف لنا مدى صدق شعوره .

و هكذا ندرك أن إبداعية الغربة و الحنين عند عبد الرحمن الداخل لا تعود إلى التجربة الشعورية ،أو الشخصية فقط ولكنها تحتوي العناصر التي تصنع العمل الإبداعي الخالد ،التجربة الشخصية، والتعبير الصادق عنها عن طريق اللغة التلقائية الواعية ،والصورة الفريدة التي هي وليدة التجربة و التي أثرت على نفسية المتلقي.

في **عصر الإمارة** نشط الشعر وكان العدد الأكبر من الأمراء الأمويين في الأندلس شعراء، منهم عبد الرحمن الداخل (113،172) الذي اتسم شعره بالرقــة والتميز، وقد طرق في شعره موضوعات عدّة من بينها: الوصف الذي كان يحمل سمات الشعر الأندلسي الذي نهض بنقل الإحساس بأدوات فنية جديدة متقنة؛ مع غلبة الجانب العاطفي، و هذه السمة الوصفية تعد من التجارب الشخصية، التي طبعت شعراء الأندلس وهذا ما نجده في وصفه للنخلة إذ قال فيها[1] :

تَبَدّتْ لنا وَسْطَ الرُصافةِ نخلــةُ تناءَت بأرض الغرب عن بلد النخلِ

فقلت :شبيهي في التغرُبِ و النَّوى و طولِ التنــائي عن بنيَّ و أهلــي

نشأتِ بأرض أنتِ فيها غريبــــة فمثلُكِ في الإقصاء و المنتأى مثلــي

سَقَتْكِ غوادي المُزْنِ من صَوْبِها الذي يَسُحُّ و يستمــري السِّمَاكَيْــنِ بالوَبْــل

الكامـــــل

تناول عبد الرحمن في هذه الأبيات كما قلنا سابقا موضوعــا تقليديا وهو الوصــف ولكنه يلّح على الجانب العاطفي فيبرزه بحيث يكاد يخفي ما سواه من جوانب أخرى، فلم يصف النخلة في طولها ولا في لونها ولا ثمرها، و إنّما ترك ذلك كلَّه ليصف النخلة بأوصاف عاطفية فصوّرها بصورة نفسية، والصورة كما عرّفها "علي البطل" بأنها "شكل لغوي يكوّنها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها"[2]، فالصورة الشعرية ترتبط بالواقع من حيث كونــها تستحضر المرئيات في الذهن عن طريق الحــواس ولكنها غالبا ما تعيد تشكيل هذا الواقع وفق الواقع النفسي للشاعر، وبذلك يعبّر عن تجربته الشعورية و يتخذها الشاعر أداة لتصوير هذا الواقع الداخلي و تجسيد مشاعره و أحاسيسه من خلالها .

[1] المقري ،شهاب الدين أحمد ،نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،ج2 ،ص 56.
[2] البطل علي، الصورة في الشعر العربي ط2، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1981م، ص 30.

فعبد الرحمن صوّر لنا واقعه الداخلي وجسد مشاعره من خلال النخلة التي تعتبر مرآة تعكس ما في نفسيته، و ما في وجدانه فيحمّلها من الغربة والفراق والبعد ما يعانيه الشاعر ولا تهمّه الصور الفنية، وإنّما الدفقة الشعرية فهو يحمِّل هذه النخلة معاناة البعد عن المشرق وهذه الأبيات تعبِّر عن مرارة عبد الرحمن الداخل لذا ظهرت هذه النغمة إذ يقول:

تَبَدّتْ لنا وَسْطَ الرُصافةِ نخلةُ تناءَت بأرض الغرب عن بلد النخلِ

تبدَّت يعني تبدو لنا و كأن شيئا ظهر فجأة لأن النخل لم يكن معروفا في الأندلس فقد اقتلع النخل من جذوره وزرع في الأندلس.

في هذا البيت نجد فاصلا بين كلمة النخلة والفعل تبدَّت هذا يشير إلى أنه بعيد فالأندلس بعيدة عن المشرق، والشاعر لم يُعَرِّف النخلة لأن التنكير يفيد العموم والإطـلاق ولكي يحمِّلها ما يريد من الغموض، فيرجع هذه النخلة إلى العهود الأولى إلى أرض الأجداد و يريد أن يرمز بخروج النخلة إلى نفسه بأنّه قُلع من جُذوره مثل هذه النخلة، ثم يُؤكد على أنّ ما يمزِّق كبده هو البُعد والفُراق، عبد الرحمن الداخل عبّر عن تعلقه وحنينه إلى المشرق عندما" بنى في شمال غرب قرطبة قصرا صيفيا على سفح جبل قرطبة سماه قصر الرصافة محاكيا في ذلك قصر جده هشام بن عبد الملك"[1] "في شمـال شـرقي تدمر بالشـام و سمّاه بهذا الاسم أيضا"[2] وذلك لتعلقه به وحنينه إليه، ثم في الشطر الثاني يقول تناءت ونحن تعلمنا بأن كل زيادة في الصيغة الصرفية تتطلب زيادة في المعنى، ولقد أشار إلى ذلك البعد عن طريق المسافة بين الكلمات، ثم أكدّها بطريقة أخرى من التكرار، وذلك للزيادة في المعنى، ويقصد الداخل هنا بالغرب الأندلس، و بلد النخل المشرق، و التكرار يأتي بعدّة صور قد تكون بتكرار اللغة، ربّما بالصّيغة الصرفية، أو بالمعنى، وذلك تكراره في كل القصيدة بل في كل شطر من القصيدة وهذا من أجل التخلص من الحمولة الشعرية التي

[1] الشطشاط ،علي حسن ،تاريخ الإسلام في الأندلس، د ط ،دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ،القاهرة، مصر ،2001م،ص100 .
[2] سيمون حايك ،عبد الرحمن الداخل قصة وتاريخ ، د ط،1982م،ص 173،www.al-mostafa.com.

يعانيها الشاعر، فالشاعر يعاني مرارة الفراق والبعد ويريد أن يتخلص من هذا الشعور فيكرّر في المعاني ثم يقول لها :

فقلت :شبيهي في التغرُبِ و النَّوى و طولِ التنائي عن بنيَّ و أهلي

إنّ الشاعر يخاطب النخلة رغم أنها لا تسمع ولا تتكلم فيقول: فقلت شبيهي فهو يعكس من خلالها ما يريد أن يقول لأنها تشبهه، غريبة، بعيدة عن أهلها وإخوانها في المشرق مثله إذن فهـي تشبهه في مختلف الظروف حالها لحاله في الغربـة والبعد والألـم والشوق والحنين والبكاء ،ثم يقول التغرب والنوى، وهنا المعنى واحد، فقد جاء التكرار بصيغة المعنى ولم يكتف بذلك بل قال و طول التنائي أي طول البعد، "فالتكرار يظل دائرا في فلك النبض النفسي للشاعر، وما يجلبه من ألفاظ يكون الإلحاح عليها، أو على جملة مهمة من العبارة لاتصال دلالاتها الشعورية والنفسية بالحالة التي تسكن الشاعر"[1].فالداخل في هذا البيت يحمّل النخلة مشاعره الحزينة ، والتنائي ليس عن بنيه فحسب بل عن أهله جميعا .

ثم يقول :

نشأتِ بأرض أنتِ فيها غريبة فمثلُكِ في الإقصاء و المنتأى مثلي

و هو يؤكد بأن هذه النخلة في أرض غريبة مثل عبد الرحمن الذي أسس دولته وبنى قصوره في أرض بعيدة عن أرضه الغالية التي أقصي عنها، والإقصاء يكون بمعنى الإكراه فالشاعر أُبْعِد عن وطنه، وهو مكره مرغم على ذلك ،ثم يدعو الشاعر لهذه النخلة بالسقيا فيقول :

[1] بكاي ،اخذاري ،تحليل الخطاب الشعري،د ط ،وزارة الثقافة ،2007،الجزائر ،ص 60 .

سَقَتْكِ غوادي المُزْنِ[1]* من صَوْبِها[2]* الذي يَسُحُّ[3]* ويستمري[4]* السِّمَاكَيْنِ[5]* بالوَبْلِ[6]*

و هذا الأسلوب معهود في الشعر العربي أن يدعو الشاعر لأرض محبوبته ولقبيلتها بالسُّقيا.

إنّ الشاعر ربط بين حاله والنخلة في غربتها وقد كانت لغته واضحة، ومفرداتها موائمة للغرض المنشود، فلمسنا شدة الشوق والمعاناة والحزن العميق، فهومن خلال الكلمات يبرز فكرة التوحد في الحزن والغربة مع سرد الذكريات التي عاشها، و ذات جرس متجانس مع شدة الشوق .

وهذه الأبيات تندرج في إطار الشعر الوجداني الذي تستسيغه النفس، لما ينطوي عليه من صدق ومعاناة، يتأثر بهما القارئ ويتدخلان مع معاناته وإحساسه دون قيد بحدود الزمن. وقد كشفت النخلة الجانب الإنساني في شخصية الداخل، الذي سرعان ما يغلب عليه الجانب الآخر عند خروجه من هذه اللحظة إلى الواقع الصعب، ولكنه ليس خروجا نهائيا حيث يعود إليها مع كل سانحة تهوى النفس فيها مرابع الأيام الخوالي، فلا يدعها إلا قد أفرغ زاده من الحنين، فيّاضا كما غوادي المزن، تستدر المطر الشديد، على نحو ما انطوى عليه البيت الأخير، الذي يعتبر الأكثر متانة و قوة، ولعل النخلة التي ترمز إلى البادية، وتعتبر الشجرة اللصيقة بذاكرة العربي، بدءا من مرابعه الأولى في شبه الجزيرة إلى مرابعه المستجدة مع الفتوح، كانت أقرب الأصدقاء إلى قلب عبد الرحمن، لما بثها من شجون لم يكن يسمح له كبرياؤه بالإفضاء بها لسواها .

[1] *غوادي المزن: الغوادي جمعُ غادية، وهي سحبُ الصباح الباكر التي عادةً ما تكونُ مُحمّلة بالخيرات الوافرة،.مزن :مزن في الأرض مزنة واحدةأي سار عقبة واحدة .لسان العرب،مادة (مزن) ،مجلد 3،ص351.

[2] *الصوب: المطر.

[3] *يسحّ:من السح أي الثمر الذي لم ينضج بماء .و قيل إنه ثمر يابس لا يكنز ،و قيل سح الماء أي مر على وجه الأرض .لسان العرب، مجلد 2 سحّ الماء و سحوه :سال من الأعلى إلى الأسفل ،يسح الماء سحّا أي صبه صبا متتابعا كثيرا. مجمع اللغة العربية ،المعجم الوجيز،ط1،مجمع اللغة العربية ،جمهورية مصر العربية ،1980م،ص 304.

[4] *يستمري :يستدر.

[5] *السماكين :نجمان مضيئان.

[6] *الوبلُ: المطرُ الشديد .لسان العرب مادة (وبل) مجلد 3،ص364 .

إن من سمات الوصف في الشعر الأندلسي: التشخيص :أي إسباغ الحياة على الأمور المعنوية أو على الجمــادات و تجسيمها و مخاطبتها مخاطبة الكائــن الحي ،وهي سمة انتشرت في الشعر الأندلسي كثيرا وهذا ما نجده عند عبد الرحمن الداخل إذ يخاطب النخلة يقول:

يا نخـــــلُ أنتِ غريبة مثلـــي في الغرب نائية عن الأصــل

فابكـــــي ، و هل تبكي مكبَّسة عجماء لم تطبع على خَبْـــل؟

لو أنها تبكـــــي ،إذًا لبـــكت ماء الفرات و مَنْبِتَ النَّخـــل

لكنها ذَهَلَــتْ ،و أذهلنـــــــي بغضي بني العباس عن أهلي الطويـــــل

جاء تصوير الشاعر لحالة البعد بينه و بين النخلة تجسيدا و تشخيصا للمعاناة، ويعد التشخيص والتجسيد "جناحي المجاز الإستعاري وبهما ينتقل المعنى المجرد إلى تعبير مجسد من غير التجاء إلى أدوات التشبيه و المقاربة "[1] ويعني التشخيص الأنسنة "أي نسبة صفات البشر إلى أفكار مجردة أو إلى أشياء لا تتصف بالحياة "[2]،أما التجسيد "فهو إضفاء صفة الماديات على ما هو مجرد "[3] هكذا جعل الشاعر النخلة إنسانا حيّا، فهي تشبهه "من حيث استقامة قدها وطولها وامتياز فحالها عن أنثاها وإخصابها باللقاح الظاهر للعيان، ولو قطع رأسها هلكت، ولها غلاف كالمشيمة التي يكون فيها الولد ،والجمار الذي في رأسها لو أصابته آفة هلكت النخلة لا محالة فهو بمنزلة المخ مـن الإنسان إذا أصابته آفــة ولو قطع منها سعفة لا يرجع بدلها فهي كعضو الإنسان وعليها ليف يشبه الشعر الذي في الإنسان"[4].

[1] سلمى الخضراء،الإتجاهات والحركات في الشعرالعربي الحديث،ترجمة عبد الواحد لؤلؤة،ط1،مركز دراسات الوحدة العربية،،بيروت، لبنان، 2001م،ص747.

[2] مجدي وهبة ،معجم مصطلحات الأدب،ط2،مكتبة بيروت ،بيروت لبنان،1984م،ص 358 .

[3] المرجع نفسه ،ص315 .

الإنسان"[1]. والشاعر في هذه الأبيات يخاطب النخلة ، وكأنها امرأة تشاركه غربته ويقرن حاله بحالها إذ يقول:

يا نخلُ أنتِ غريبة مثلـــي في الغرب نائية عن الأصـــل

و قد افتتح بيته بالنداء خاصة باستعماله حرف يا الذي يعبّر عن رغبة الشاعر في الإفصاح عما بداخله وهو باستعماله النداء ينبه السامع ليشاركه غربته، والنداء يفيد الشكوى والبوح، فالشاعر ينادي النخلة لأنهما يشتركان في نفس المحنة وهي الغربة فيقول لها يا نخل وهي" استعارة مكنية"* شبه النخلة بالإنسان العاقل الذي يسمع الشكوى يخاطبها ويقول لها أنها غريبة مثله ، وأنها بعيدةٌ عن موطنها الأصلي، وعن كل ما يُحيطُ بها من نخيل، فهو يُسقطُ ما يشعرُ به على هذه النخلة، فتشعرُ بمشاعره، وقد جاءت كلمة مثلي والتي تعود على الشاعر قريبة من كلمة النخل وذلك لأن النخلة تمثل في اللاوعي الجمعي عنصرا مشابها بالإنسان، وقد جاء ذكر النخل في القرآن الكريم تنويها بمكانته وتنبيها على منزلته في آيات بينات كثيرة منها قوله تعالى:" وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ "[2]، و قوله تعالى: أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ "[3] كما ذكر الرسول صلى الله عليه و سلم هذه الشجرة الكريمة المباركة و أتى عليها و امتدح ثمارها ،و رغب في إكرامها و أكْل ثمرها فقال صلى الله عليه وسلم "أكرموا عمتكم النخلة "[4].

وقال أبو حاتم سهل بن محمد السِّجستاني رحمه الله "النخلة سيدة الشجر، مخلوقة من طين آدم صلوات الله عليه "[5]، وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله

[1] ابن حوشية، النبطي ،كتاب النخل ،تحقيق ،إبراهيم السامرائي،د ط ،مجلة المورد ،بغداد،العراق، 1971م،ص 70.
*الاستعارة المكنية :حذف المشبه به و الرمز إليه بشيء من لوازمه ،الحسين قصي،انثروبولوجية الأدب ،ط1،دار و مكتبة الهلال ،بيروت ،لبنان 2009م ،ص 105.
[2] الرحمن،10،11 .
[3] عبس، 25،29.
[4] ابن حوشية،النبطي ،كتاب النخل ،ص70 .
[5] السجستاني ،ابو حاتم ،النخلة ،تحقيق حاتم صالح الضامن ،ط1،دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشروالتوزيع ،بيروت،لبنان،2002م،ص29 .

عليه وسلم: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنّها مثل المسلم، حدثوني ماهي؟ قال فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله فوقع في نفسي أنَّها النخلة ثم قالوا: حدِّثنا ماهي يا رسول الله، قال هي النخلة "[1].

فحين يرى الغريب النخلة يرى فيها امرأة تشاركه الغربة و الحنين فيأمرها أن تبكي بقوله:

فابكي ، و هل تبكي مكبَّسة عجماء لم تطبع على خَبْل؟

في هذا البيت عمل الشاعر على تصوير شيء تجريدي (اغتراب نفسي) بشيء حسي مادي ملموس فقد عمل على تجسيم الحالة النفسية من خلال النخلة فهو يأمرُها أن تبكي وهي صورة وجدانية نطل من خلالها على نفسية الشاعر و همومه الذاتية التي يفيض بها وجدانه ،فالشاعر يضمّن هذه الصورة "صورا عاطفية تخاطب وجدان المتلقي مباشرة ،و تنفذ إلى أعماق روحه مؤثرة فيه التأثير الفني المشروط بقوة المثير الشعوري المنبجس من حقيقة الشاعر الوجدانية"[2]،و يستخدم الشاعر في هذا النوع من الصور الألفاظ العاطفية المشحونة بالانفعالية مثل :البكاء ،الشوق ،اللوعة ،الفراق وهذا ما نجده عند الداخل ، ثم يتساءل كيف ستبكي وهي لا تستطيع الكلام، ولكنّه يراها، وإن كانت لا تتحدث فهي كشخصٍ واعٍ متزن فاهم، ثم يقول :

لو أنها تبكي ،إذًا لبكت ماء الفرات و مَنْبِتَ النَّخل

ولو أن تلك النخلة استطاعت أن تبكي كما يبكي الناس لبكت شوقًا إلى ماء الفرات، فالنخل عربي الأرومة و النُّجار ليس في بلاد الشرك شيء منه، قدره الله جل وعز للعرب في جزيرة العرب و في المشرق و أكثره في العراق وقال أبو حاتم في كتابه النخلة "سمعت الأصمعي يقول سمعت هارون أمير المؤمنين يقول نظرنا فإذا كل ذهب وفضة على وجه الأرض لا

[1] البخاري ،ابن مغيرة الجعفي ،الجامع الصحيح ،ط1،دار طوق النجاة ،بيروت ،لبنان ،،ج2،1422هـ ،ص 34 .
[2] عيكوس ،الأخضر ،الصورة الشعرية في القصيدة الجاهلية دراسة بلاغية نقدية ،رسالة ماجيستر ،جامعة قسنطينة ،1986م ،ص 230 .

يبلغان ثمر نخل البصرة "[1]. والماء رمز الحياة بالنسبة للشعراء فهو أكثر العناصر حراكا فيما يعرف ب "الخيال المادي" الذي يتراءى في أبهى تجلياته في الأدب، وعلى نحو أكثر تحديدا في الصورة الشعرية، وهي سمة تعمقها و تؤصلها محمولاته السخية على صعيدي الأساطير و الشرائع، لقد أدرك الإنسان منذ فجر تاريخه أن الماء هو الشرط الأول من شروط حياته فنظر إليه بحب و تقديس، ورأى فيه" قوة خلاقة، وإرادة إلاهية لإنتاج حياة جديدة، وكائنات جيدة فالماء هو عنصر الخلق في الفكر الميثولوجي يُصدر الأوامر المشددة التي يتألف منها رقي الكاهن، تلك الأوامر التي تسكن من ثائـــرة القوى الساخطة، وتطرد الأرواح الشرّيرة التي تهاجم الإنسان"[2]،إن للتعالق الإشتراطي بين الماء والحياة سطوة لا تنهض بها في رؤيا الشاعر سوى علامات السلطة والإرادة المطلقة التي يتمركز الماء في قطبها الخالق، محققا حضوره الفاعل في النسيج العلاماتي من خلال بعدين :

البعد التطهيري :فالماء هو القوة المطهرة للأدران الروح و الجسد، فالماء "يتلقى صور النقاء كافة "[3]، بوصفه إرادة التطهير التي تشف عن كل ماهو جوهري وقديم في الأشياء .

أما **البعد التخصيبي:** فالماء مُذكَّر فلسفيا على ما يبدو معه اللاشعور الإنساني الجمعي ساعيا إلى ترسيخ قطبية زوجية ما، في مقابل القطب المؤنث :الأرض، فالماء بسلوكه الذكري يحرض الخصوبة الكامنة في الرحم الكوني الأرض/ الأم الأولى، يمنحها طاقة الخلق والتواصل ،وغيابه عنها نظير رمزي لاستحالة التخصيب وبالتالي استحالة تحقيق الولادة الجديدة. فالشاعر في قوله إذا لبكت ماء الفرات ومنبت النخل، و هنا نجد القطب المذكر المتمثل في الماء و الفرات (العراق) هي الأرض و هي القطب المؤنث و النخلة هي التي وُلدت من هذه الثنائية فأرض الفرات(العراق) بالنسبة للنخلة هي الأم الأولى لها .

[1] السجستاني ،أبو حاتم ،النخلة ، ص 5.
[2] فرانكفورت و آخرين ، ما قبل الفلسفة ،ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ،المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،بيروت ،لبنان ،1980م، ص ص 171،172 .
[3] غاستون باشلار ،الماء و الأحلام ،ترجمة علي إبراهيم ، ط1، مركزدراسات الوحدة العربية ، ،بيروت،لبنان ،2007م،ص 31 .

إن عبد الرحمن يسترجع ماضيه من خلال ماء الفرات ذلك النهر العظيم الذي يعتبر من الأمكنة المائية التي تصل حاضر الإنسان بماضيها عبر دلالتها الكامنة في عمق اللاشعور الجمعي للإنسانية ،في رحلة العودة إلى البدايات و قد رسخت الميثولوجيا هذه السمة الرمزية للماء، مثلما نجد في ملحمـــة كلكامش وملاحم الإغــريق، فتارة يبدو الماء قوة جبّارة للخلـق ،و أخرى يبدو أفقا للسفر إلى المجهول بحثا عن الحقيقة و الخلاص و تارة يتخذ مظهر الألوهة و القداسة ،أو يبدو قوة جبارة للغضب الإلهي تعصف بأحلام الإنسان ،كما رسخت الكتب السماوية هذه الامتيازات الدلالية للماء سواء في العهدين القديم و الجديد أو في القرآن الكريم حين جعلت منه مبدأ للصيرورة الكونية، كما في قوله تعـــالى:"أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ "[1]،و قوله تعالى:"وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧ "[2] فقد جعل الخطاب القرآني من الماء رحما إنبثقت منه الحياة .

فالنخلة تمثل بعدا عربيا أصيلا، غير أنها قد انتزعت من تربتها الأصلية لتستنبت في أرض غريبة هي أرض الأندلس، ورغم كون الأندلس لا تمثل مكانا غريبا بالنسبة للعرب و المسلمين في و قت سابق، غير أنها بالنسبة للنخلة تمثل حالة غربة واضحة، من حيث كونها غربة طقس وبيئة وأرض غير معهودة، ولهذا يقول الشاعر لو كانت تستطيع البكاء لبكت على كل ذلك، وهنا الشاعر يحاول أن يخفف عن رغبته في البكاء بإسقاط ذلك على النخلة .

[1] الأنبياء،30 .
[2] هود ،07.

و الإسقاط هو حيلة دفاعية "نبـذ فيها الشخص من ذاتــه بعض الصفات والمشاعـر و الرغبات و حتى بعض الموضوعات التي ينكر لها و يرفضها في نفسه لكي يموضعها في الآخر، سواء أكان هذا الآخر شخصا أم شيئا "[1]و هذه المشاعر والرغبات تمثلت في البكاء.

لكنّه لا يمنعنا من أن نقرأ هذا المعنى كدلالة تحيل إلى نفسية الشاعر التي أرهقتها الغربة و أرقها الحنين.

لكنّها ذَهَلَــتْ ،و أذهلنــي بغضي بني العباس عن أهلي

إنّ تلك النخلةَ تشاركُ الشاعرَ بُغضه بني العبّاس في المشرق، لأنّهم كانوا السبب في التشرّد والخروج من تلك الديار التي تُشكّل رمزًا لوجود الإنسان الأول، فبمغادرتِه لذلك الوطن مُرغمًا مُكرهًا فقد فَهمَ ذلك على أنّه إلغاءٌ لوجودِه بكلّ ما فيه من مُستويات فكرية وعاطفيّة، من ذكريات وأيام .

لعّل لوعة الشكوى التي كَلَف إليها الشاعر عبد الرحمن الداخل تكشف عن دواعيها بإطار الصراع النفسي الذي واجهه الشاعر في غربته، ذلك الصراع ظهرت أبعاده بحواره مع النخلة حيث نقلها من واقعها الحقيقي إلى رمز تتمثل فيه كل صفات الإنسان، فهي تشتكي و تتألم من الغربة .

هذه الشكوى التي عبّر عنها الداخل في المقطوعتين بكلمات أحدثت إيقاعا عكس لنا نفسيته، "وفق التجــربة التي خاضها، والمرتبطــة بالحدث الذي يلتحم مع هــذه التجربة"[2]، والإيقاع بمفهومه الأدبي المتداول عند العديد من الدارسين الذين يعرفونه بأنه "حركة الأصوات الداخلية التي تعتمد على تقطيعات البحر أو التفاعيل العروضية "[3]، وأنه "موسيقى ناتجة عن وسائل متعددة أهمّها التكرار ،تكرار كلمات معينة أو متشابهة أو حرف أو حروف

[1] فيصل عباس،التحليل النفسي للشخصية ،ط1،دار الفكر اللبناني بيروت ،لبنان ،1994،ص 44 .
[2] عبد القادر فيدوح ،الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ، ط1،دار صفاء للنشر و التوزيع ،عمان ، الأردن ،2010 ص 650 .
[3] عز الدين إسماعيل ،الأسس الجمالية في النقد العربي ،ط2،دار الفكر،1968 ،ص 374 .

متحدة المخرج أو متقاربة أو ذات صفة جرسية واحدة "[1]، فرغم اختلاف المقطوعتين في الإيقاع بسبب "تغير طبيعة الصورة الشعرية في بنيتها الانفعالية فتصبح ذات تفعيلات متنوعة، ولذلك يلجأ الشاعر إلى تنويع البحور"[2]، فإن اتفاقهما في حرف الروي والقافية سيكون مفتاحا مهمّا للتوغل في أعماق الداخل، ذلك أن حرف الروي "اللَّام" الذي تكرر في نغم صوتي متجانس يجلب انتباه الأسماع فهو من الحروف المجهورة الرخوة، والرخاوة والجهر صفتان دالتان على شخصية تعيش تجاذبا يتجلى من خلال اكتناز القصيدتين لمجموعة من الحروف الانفجارية مثل الباء ،الدال ،الكاف ،التاء الضاد ،الهمزة ،فكأنما بين الروي "اللام" و الحروف التي يتضمنها الحشو ما يكشف عن التجاذب الوجداني الذي يميّز شخصية الداخل، فهو يتكئ على حرف رخو مجهور مكسور لكنه يخرج من بين مجموعة حروف انفجارية شديدة و التي تعبّر عن رفض الشاعر الداخلي لمكان الغربة، و لقد اختـــار حروف المـــد و الليـــن التي تعبر عن إخراج الحزن الذي ســكن قلبــه بسبب بعده عــن وطنه و أهلـــه، و تعكس لنا الحالة النفسية الكئيبة للشاعر مثل :لنا ،تناءت ،النوى، التنائي، أهلي، طول ،فيها ،الإقصاء ،المنتأى ،مثلي، غوادي ،يستمري ،يا ،نائية ،أنها عجماء.

أما القافية و التي تعتبر عنصرا أساسيا لبناء القصيدة من حيث كونها تميز نهاية البيت ،وتهبه وحدته ،فهي "ضرورة نفسية يلجأ إليها الشاعر حتى و لو كان ذلك دون وعي منه للتعبير عن مشاعره الداخلية التي تعكس انفعاله في إفرازات نفسية متتابعة "[3] فلقد جاءت مقيّدة ،و هذا التقييد ساهم في إبراز جانب الغضب و الحزن المكبوت.

[1] يحي الشيخ صالح ، شعر الثورة عند مفدي زكريا ،دراسة تحليلية فنية ،ط1،دار البعث ،قسنطينة ،1987م،ص 294 .
[2] :فيدوح عبد القادر ،الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ،ص 467 .
[3] المرجع نفسه ،ص 472 .

من خلال المقطوعتين "ظهر عند الشاعر المزج بين الحنين و الطبيعة ،فتكون تلك الصور معبّرة عن الحالة الجديدة التي يعيشها في غربته مع سعة الحال"[1]، فرغم المجد والجاه الذي حقق الداخل في الأندلس إلاّ أن حنينه إلى أهله لم ينقطع فيقول :

أيها الرّاكــبُ المُيـمّمُ أرْضــي أقْرِ من بعْضِي السَّــلامَ لبعْــضِ

إنّ جسمـــي كما عَلِمتَ بأرضٍ و فــُـؤادِي و مالكيـــْه بـــأرضِ

قُدّر البَيـــن بينـــنا فافـترقنـا و طوى البين عن جفوني غمـضي

قد قضـــى الله بالفـراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضـــي

لقد عبّر الشاعر في هذه الأبيات عن حنينه إلى وطنه وقد برز فيها طابع الحزن وهذا من خلال الكلمات مثل البين ، الفراق ،الفؤاد ،كما أنه ألح في ذكر الأرض و منحها ياء النسب ليؤكد هذه الصلة الحميمية وهذا ما نجده في قوله :

أيها الرّاكــبُ المُيـمِمُ أرْضـي أقْرِ من بعْضِي السَّــلامَ لبعْــضِ

افتتح الشاعر هذه المقطوعة ب **أيُّها** التي تفيد النداء و تستعمل لاستحضار تنهدات نفسية عميقة ،و الميَمِمُ هو اسم فاعل من يمَمَ المكان :إذا قصده و الشاعر هنا يطلب من المتوجه إلى المشرق أن ينقل له السّلام لنصفه الآخر فيقول أقر من بعضي السلام لبعض فهو مجزء نصفه في مكان والنصف الآخر في مكان آخر فيقول :

إنّ جسمـــي كما عَلِمتَ بأرضٍ و فــُـؤادِي و مالكيـــْه بـــأرضِ

إن مكان الألفة يجذب الشاعر إليه فيشعـر فيه بالمتعة بينـما مكان الغربة يشعره بالوحـدة والحزن وهنا يحدث التناقض بين الألفة والغربة هذا التناقض الذي يختلج الشاعر أثناء إقامته وتواجده في المكان الثاني، فالشاعر هنا يؤكد على أن جسمه بأرض ويقصد بها

[1] أمل رحمة ،وحميدة البلداوي ،باعث العاطفة في حقول التراجيديا في الشعر الأندلسي،مجلة البحوث التربوية والنفسية ،العدد 17،دت،ص119.

المغرب و فؤاده ومالكيه بأرض أي المشرق،" وهكذا وعلى محور ثنائية الألفة /والغربة يتشكل خطاب الغربة و الحنين المكاني و يتجاذب قطبان :الألفة المشرق/ والغربة الأندلس ومن خلال هذا التقاطب تظهر لنا رؤية التجاذب النفسي بين المكانين التي تسيطر على ذات الشاعر. الداخل هنا لا يقصد فؤاده قلبه ،إنما ما يرسخ في القلب من ذكريات وهموم عن وطنه، وفي هذا البيت شطّر الشاعر روحه إلى نصفين الشطر الأول من البيت هو الجسد الموجود في المغرب (الأندلس)، والشطر الثاني روحه الموجودة في المشرق وهي صورة تعبّر عن نفسية الشاعر المنكسرة، فرغم الملك و الجاه الذي حققه في الأندلس إلاّ أن روحه بقيت متعلقة بالمشرق، فقد غادر موطنه مرغما وقد ذكر ذلك في قوله :

قُدّر البَيـــن بينـــنا فافترقنـا و طوى البين عن جفوني غمـضي

وفي هذا البيت جاء الفعل قُدر مبني للمجهول لأنه فارق وطنه مكرها فابتعد عن أهله ، وقد كرّر الشاعر كلمة البين أي الفراق هذا التكرار الذي من خلاله يريد الشاعر أن يخفّف من مرارة الفراق الذي أبعد النوم عن جفونه، فتكرار الألفاظ والعبارات له هدفه الخاص في نفس الشاعر، ويقصد من وراءه غرض يفهم من السياق ومن ظروف الشاعر، فالعبارة التي يكررها الشاعر تؤدي إلى رفع مستوى الشعور في القصيدة إلى درجة غير عادية يجعله يستغني به عن عناء الإفصاح المباشر وإخبار القارئ بالألفاظ على مدى كثافة الذروة العاطفية ، فإن أراد الشاعر أن ينفس عن ضيق في صدره يكرر ذكر الألفاظ (البين، فافترقنا طوى البين) ،وهذا يدل على أن صورة المكان الأول هي الصورة النموذجية على مستوى الخطاب المكاني بينما ظل المكان الثاني (مكان الغربة) هامشا إضافيا يغذي تجربة الحنين و الغربة ويعمقها ويبقى المكانان مكان الألفة ومكان الغربة يمثلان فرحا وحزنا ،ليتمثل الشاعر الحزن في مكان الإقامة الجسدي، ولذا فهو يهرب من الحزن إلى الفرح من خلال أمله في اللقاء والشاعر بقضاء الله راض إذ يقول :

قد قضـــى الله بالفـراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضـــي

فالشاعر مؤمن أن الله هو الذي قدر عليه هذا الفراق و أن هذا الأمر ربانيا لم يكن بيده إلا أنه لم ييأس و عسى الله أن يجمعه مع أهله و يقضي بذلك، والقدرية في التحليل النفسي تبين أن صاحبها قد بلغ العجز منه أقصاه، وأنه في حالة هروب مقنع من الصراع الذي دخل حلبته، هي استجابة استسلاميه توهم النفس من خلالها بأنّها حين تؤمن بالقدر فإنها ستكافأ بانتظار الفرج، لهذا لاحظ الدارسون أن ظهور هذه الاستجابة" يكون حين يصل عجز الإنسان مداه، و تنعدم قدرته على توجيه الأحداث و التأثير في الظروف وهي تضمن محاولة ذاتية للسيطرة على المصير من خلال القول أن هذه هي طبيعة الأمور.. مما يدخل بعض العزاء إلى النفس و الطمأنينة إلى أن القدر إن قسا مرة، فلابد أن يأتي بعد ذلك فرج.."[1] .لقد استطاع الشاعر من خلال هذه المقطوعة التأثير في نفسية المتلقي وذلك من خلال كلماته التي كانت تحمل في ثناياها عاطفة واضحة ،و"التي بدت و كأنها زفرات قلب لم تستطع صروف الدهر انتزاعه من تلك الأرض"[2] فقد انعكس موضوع هذه الأبيات على البناء الفني، الذي جعلها تتسم بالرقة و السهولة، فضلا عن خفة وقعها على الأذن، وذلك للحروف الانفجارية التي اكتنزتها مثل: الباء، الدال، الكاف، التاء، الضاد وحرف الروي "الضاد" المكسور و هو حرف رخو مجهور استخدم كقافية ارتكازية والذي يعتمد على قدرة واعية من لدن الشاعر لتوظيف دلالة الكلمات الحاوية لهذا الحرف الصعب، فنادرا ما يستعمل هذا الحرف في القصائد العربية وفي بناءاتها الشعرية وتلك ميزة لهذا الحرف الأصيل الذي يعبر عن الأصالة العربية للشاعر، هذا الحرف الذي يحسن توظيف المفردات الضادية: مثل غمضي، أرض بعضي، قضى، يقضي. وتقييد القافية في هذه المقطوعة يعبّر عن رغبة الداخل في العودة إلى الوطن و لكنه مقيّد لا يستطيع فعل ذلك، ولكن يبقى أملـــه في الله سبحانـــه و تعالى .

[1] مصطفى حجازي، التخلف الإجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ،ط9،المركز الثقافي العربي ،بيروت،لبنان ،2005م،ص163.
[2] بيضون إبراهيم ،الأمراء الأمويون الشعراء في الأندلس ،دراسة في أدب السلطة ،د ط ،دار النهضة العربية ،1987م،ص 152 .

إن الوقفة المتأنية مع حيثيات هذه المقطوعات الثلاث تكشف لنا التناقض النفسي الواضح الذي ظهر في شعر الداخل و الذي توزع بين اللين تارة و القوة تارة أخرى و هذا يدل على أن الشاعر لحظة نظمه لشعره كانت تتجاذب ذاته صراعات نفسية بين أقطاب الجهاز النفسي الهو، الأنا، والأنا الأعلى، ومن خلال هذه التجاذبات يتكشف لنا مدى صدق شعوره .

و هكذا ندرك أن إبداعية الغربة و الحنين عند عبد الرحمن الداخل لا تعود إلى التجربة الشعورية ،أو الشخصية فقط ولكنها تحتوي العناصر التي تصنع العمل الإبداعي الخالد ،التجربة الشخصية، والتعبير الصادق عنها عن طريق اللغة التلقائية الواعية ،والصورة الفريدة التي هي وليدة التجربة و التي أثرت على نفسية المتلقي.

الخاتمـــــة

إنّ شخصية عبد الرحمن الداخل التي عرفت بصلابتها و قوتها كانت وراء انجذابنا لدراستها دراسة نفسية و قد مكنتني هذه الدراسة من تسجيل بعض النتائج التي نرى أنها اقتربت قدر الإمكان من واقع هذه الشخصية وأهم هذه النتائج: أنه رغم النكبات و المصائب التي مرت بحياته ولدت في نفسه حياة شعورية والتي تجلت في غرض الغربة والحنين الذي يُعد من صميم الغنائية الوجدانية فقد جسد الشاعر هذا الغرض في تجربة شعورية فريدة، وهذا يدل على أن شخصية عبد الرحمن الداخل شخصية فنان مرهف الحس فقد عبر شعر الغربة والحنين عند الداخل عن تجربة شعورية وواقعية صادقة عاشها الشاعر على المستوى الحياتي و أدت إليها ظروف سياسية، وقد ظهر تأثير هذه التجربة واضحة في شعره.

فقد ارتبط شعر الغربة و الحنين عند الداخل ارتباطا وثيقا بالمكان فمكان الغربة "الأندلس "هو المكان الواقعي المرفوض، ومكان الألفة المشرق هو المكان الذاكرة الذي ينجذب إليه الشاعر هذا الانشطار بين الأندلس والشام هو الذي طبع شعره بالحزن وكذلك اللغة البسيطة التي يغلب عليها الطابع الغنائي الوجداني الذي أثر في نفسية المتلقي وذلك لاستخدامه أدوات خاصة ومميزة ذات بعد رمزي عالي مثل صيغ تفعّل وتفاعل، والأفعال الماضية، كذلك استخدم الشاعر أساليب إنشائية متنوعة كالنداء، والاستفهام، والتمني، والتي خرجت عن معانيها الأصلية لتوظف في معاني أخرى استدعتها لوعة الشاعر فأصبحت تدل على الحزن و الألم و الوحدة ،و أيضا التكرار الذي استعمله الشاعر بكثرة وذلك لمعاناته مرارة الفراق أما الصورة اعتمد عليها في تشكيل رؤيته الشعرية و التعبير عن تجربته وأحاسيسه كانت أهم ميزة ارتباطها بالموقف النفسي للشاعر وصدورها عن وحي التجربة الشعورية له وأبرز الصور التي عبر عنها صورة النخلة التشخيصية ،فالتشخيص كان أبرز عناصر الصورة الشعرية و أجملها.

وهذا ما سمح لنا المنهج النفسي من معرفته لأنه أفضل منهج يستوعب شخصية الداخل و يفسر سلوكاتها ومواقفها ولهذا فأفضل طريقة للإحاطة بحياة المبدع، التي تظل تجاربها عميقة مترتبة في ما ينتجه من ابداع ،هي التمكن من آليات هذا المنهج واجراءاته.

القـــــرآن الكريـــــم (برواية ورش)

المصـــادر و المراجـــع

1–بوقرورة عمر ،الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث ،دط، مركز منشورات جامعة باتنة، باتنة، الجزائر د ت.

2–البخاري، ابن مغيرة الجعفي، الجامع الصحيح،ط1، دارطوق النجاة ،بيروت، لبنان،ج2 1422هـ.

3–بيضون إبراهيم ،الأمراء الأمويون الشعراء في الأندلس ،دراسة في أدب السلطة ، دط، دار النهضة العربية ،1987م.

4–حسين مؤنس، فجرالأندلس،ط1،دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،2002 م.

5–إبن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق الدكتور حسين مؤنس، دار المعارف، كورنيش ا للكتاب، الجزائر، 1989م.

6–البطل علي، الصورة في الشعر العربي، ط2 ، دار الأندلس، لبنان،بيروت،1981م.

7–التبريزي ،الخطيب ،شرح ديوان عنترة،ط1،دار الكتاب العربي ،بيروت ،لبنان ،1993م.

8–الجبوري يحي ،الغربة و الحنين في الشعر العربي ،ط1،دار مجدلاوي للنشر و التوزيع عمان ،الأردن،2007م .

9–حجازي مصطفى،التخلف الاجتماعي،مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور،ط9،المركز الثقافي العربي ،بيروت ،لبنان ،2005م.

10–الداهري صالح والكبيسي وهيب مجيد ،علم النفس العام ،ط1،دارالكندي للنشر والتوزيع أربد ،الأردن،1999 م.

11–الداية ،محمد رضوان ،في الأدب الأندلسي، دط، دارالفكر، سوريا ،2000م.

12–الرويلي ميجان ،دليل الناقد الأدبي ، ط3،المركز الثقافي العربي ،دار البيضاء المغرب، وبيروت لبنان،2002 م.

13–زيتون محمد، المسلمون في المغرب و الأندلس، دط ،الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية مصر ،1990م .

14–السجستاني، أبو حاتم ،النخلة ،تحقيق حاتم صالح الضامن،ط1،دار البشائر الإسلامية 2002م.

15– سيمون حايك، عبدالرحمن الداخل قصة وتاريخ ،دط ،1982م.

16– سلمى الخضراء، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ط1 مركز دراسات الوحدة العربية 2001م.

17– سيد قطب ،النقد الأدبي أصوله ومناهجه ،ط6،دار الشروق ،القاهرة ،مصر 1990م.

18–الشطشاط، علي حسين ،تاريخ الإسلام في الأندلس ،دط، دارقباء للطباعة والنشرو التوزيع القاهرة ،مصر ،2001.لنيل،ج1،القاهرة، مصر ،1963م.

19–صلاح فضل ،مناهج النقد المعاصر ،ط1،دار الأفاق العربية ،القاهرة ،مصر1997م.

20–صالح الهويدي، النقد الأدبي قضاياه ومناهجه،ط1، منشورات السابع من أبريل، 1426هـ.

21–ابن عذاري المراكشي ،بيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ،تحقيق و مراجعة ،ج س كولان و إليفي بروفنال ،1980م.

22–ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت ،1998م .

23–ابن وحشية النبطي، كتاب النخل، تحقيق ابراهيم السامرائي،دط، مجلة المورد،بغداد 1971م.

24–ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي دط، المؤسسة الوطنية

25–المختاري زين الدين، مدخل إلى نظرية النقد النفسي ،دط منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ،سوريا ،1998م .

26–المقري ،أحمد بن محمد ،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تحقيق إحسان عباس دار صادر ،ج3،بيروت ،لبنان ،1968م .

27–عباس فيصل ،التحليل النفسي و الاتجاهات الفرويدية ،ط1،دار الفكر العربي ،بيروت لبنان ،1996م.

28–عز الدين اسماعيل ،التفسير النفسي للأدب،ط4،مكتبة غريب، القاهرة ،مصر،دت.

و الأسس الجمالية في النقد العربي ،ط2،دار الفكر،1968 م.

29–علي أدهم ، صقر قريش،دط ،مكتبة الإسكندرية ،1938م.

30–فرانكفورت و آخرون ،ما قبل الفلسفة ،ترجمة جبرا ابراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،لبنان،1980م.

31–فيدوح عبد القادر، الإتجاه النفسي في نقد الشعر العربي،ط1،دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، الأردن 2010م.

32–فيصل عباس ،التحليل النفسي للشخصية ،ط1،دار الفكر اللبناني ،بيروت ،لبنان 1994م.

33–الملّا علي القاري ،نور الدين علي ،الأسرار المرفوعة ،تحقيق محمد بن لطفي الصباغ ط2،المكتب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ،1996م.

34–مؤلف مجهول ،أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها،تحقيق إبراهيم الأبياري،ط2 دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني ،القاهرة ،بيروت ،1989م.

35– مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب،ط2،مكتبة بيروت ،بيروت ،لبنان،1984م.

36–غاستون باشلار، الماء و الأحلام، ترجمة علي ابراهيم ،ط1،مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ،لبنان 2007م.

37–يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا،ط1،دارالبعث، قسنطينة ،1987م.

الرسائل و المجلات

38–أمل رحمة، وحميدة البلداوي ،باعث العاطفة في حقول التراجيديا في الشعر الأندلسي، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد 17، دت .

39–عيكوس، الأخضر، الصورة الشعرية في القصيدة الجاهلية، رسالة ماجيستر، جامعة قسنطينة، 1986م.

40– هوميروس ،الإلياذة، ترجمة صفية طبني ،راجع أوزانها و ضبطها ،جبران سحاري 2012م.

الدواويـــــــن

41–أبو تمام، ديوانه، شرح الخطيب التبريزي،ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1994م.

42–امرؤ القيس، ديوانه، تحقيق مصطفى عبد الشافي، ط5، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،2003م.

43–جميل بن معمر العذري، ديوانه، دط، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ،لبنان 1982م.

44– المتلمس ، جرير بن عبد العزى ، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دط، الشركة المصرية للطباعة والنشر، مصر ،1980م .

45–عمر بن أبي ربيعة ، ديوانه، تحقيق فايز محمد ، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان 1996م.

46–عروة بن حزام ،ديوانه ،دط،المكتبة الوقفية.

المعاجـــــــم

47– الفيروزآبادي ،مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط ،تحقيق مكتب تحقيق الثرات، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت ،لبنان 2005م .

48–مجمع اللغة العربية ،المعجم الوسيط،ط4،مكتبة الشروق الدولية ،مصر ،2003م.

ملخص البحـــــث

عرض بحثنا الموسوم الغربة و الحنين في شعر عبد الرحمن الداخل ،قضية أثر الغربة المكانية في نفسيته و تجلياتها في شعره .

كما تناول تحديد معالم المنهج النفسي الذي كان معتمد دراستنا مرا على رسم مفهوم الغربة والحنين، و أسباب هذه الغربة، وتوقف بنا الطواف عند تطبيق المنهج النفسي على آثار الداخل التي تناولت هذا الغرض.

RESUME DE LA RECHERCHE

Voir notre recherche et marquée par l'aliénation et de la nostalgie dans La poésie de "Abderrahmane eddakhil "de la question de l'impact de l'aliénation spatiale dans la psyché et de ses manifestation dans sa poésie .

A également abordé l'élaboration du psychologique au programme, qui a été soutenu par notre étude pour dessiner le concept d'aliénation, de nostalgie et de leur croisière sur les causes et nous a arrêtés lors de l'application de l'approche sur les effets psychologique de d'eddakhil qui portrait cet effet.

القرآن الكريم(برواية ورش)

قائمة المصادر و المراجع

01-ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق الدكتور حسين مؤنس، دار المعارف، كورنيش الكتاب، الجزائر، 1989م.

02-البخاري، ابن مغيرة الجعفي، الجامع الصحيح،ط1، دارطوق النجاة ،بيروت، لبنان،ج2 1422هـ.

03-البطل علي، الصورة في الشعر العربي، ط2 ، دار الأندلس، لبنان،بيروت،1981م.

04-بيضون إبراهيم ،الأمراء الأمويون الشعراء في الأندلس ،دراسة في أدب السلطة، دط، دار النهضة العربية ،1987م.

05-التبريزي ،الخطيب ،شرح ديوان عنترة،ط1،دار الكتاب العربي ،بيروت ،لبنان ،1993م.

06-الجبوري يحي ،الغربة و الحنين في الشعر العربي ،ط1،دار مجدلاوي للنشر والتوزيع عمان الأردن،2007م .

07-حجازي مصطفى، التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور،ط9، المركز الثقافي العربي ،بيروت ،لبنان ،2005م.

08-حسين مؤنس، فجر الأندلس، ط1، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،2002.

09-الداهري صالح، والكبيسي وهيب مجيد ،علم النفس العام ،ط1،دارالكندي للنشر والتوزيع أربد الأردن،1999م.

10-الداية ،محمد رضوان ،في الأدب الأندلسي، دط، دار الفكر، سوريا ،2000م.

11-الرويلي ميجان، البازعي سعد، دليل الناقد الأدبي، ط3،المركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب، وبيروت لبنان،2002 م.

12-زيتون محمد، المسلمون في المغرب و الأندلس، دط ،الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية مصر،1990م .

13-السجستاني، أبو حاتم ،النخلة ،تحقيق حاتم صالح الضامن،ط1،دار البشائر الإسلامية للطباعة و النشر و التوزيع ،2002م.

14-سلمى الخضراء، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ،ط1،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،لبنان،2001م.

15-سيد قطب ،النقد الأدبي أصوله ومناهجه ،ط6،دار الشروق ،القاهرة ،مصر 1990م.

16-سيمون حايك، عبدالرحمن الداخل قصة وتاريخ ،دط ،1982م.

17-الشطشاط، علي حسين ،تاريخ الإسلام في الأندلس ،دط، دارقباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ،مصر،2001م.

18-صالح الهويدي، النقد الأدبي قضاياه ومناهجه،ط1، منشورات السابع من أبريل، 1426هـ.

19-صلاح فضل ،مناهج النقد المعاصر ،ط1،دار الآفاق العربية ،القاهرة ،مصر1997م.

20-ابن عذاري المراكشي،بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج س كولان وإليفي بروفنال ،1980م.

21-عز الدين اسماعيل ،التفسير النفسي للأدب،ط4،مكتبة غريب، القاهرة ،مصر،دت.

و الأسس الجمالية في النقد العربي ،ط2،دار الفكر،1968 م.

22-علي أدهم ، صقر قريش، دط ،دار المقتطف والقطيم ،الإسكندرية ،مصر،1948م.

23-غاستون باشلار، الماء و الأحلام، ترجمة علي ابراهيم ،ط1،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،لبنان 2007م.

24-فرانكفورت و آخرون ،ما قبل الفلسفة ،ترجمة جبرا ابراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،لبنان،1980م.

25-فيدوح عبد القادر، الإتجاه النفسي في نقد الشعر العربي،ط1،دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، الأردن 2010م.

26-فيصل عباس ،التحليل النفسي للشخصية ،ط1،دار الفكر اللبناني ،بيروت ،لبنان 1994م.

27-فيصل عباس،التحليل النفسي و الاتجاهات الفرويدية ،ط1،دار الفكر العربي ،بيروت لبنان ،1996م.

28-القرطاجني ،حازم ،منهاج البلغاء و سراج الادباء ،تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة،ط1،دار الغرب الإسلامي،تونس،1981م.

29-بوقرورة عمر ،الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث ،دط، مركز منشورات جامعة باتنة، باتنة، الجزائر د ت.

30-ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي دط، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،1989م.

31-مؤلف مجهول ،أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها،تحقيق إبراهيم الأبياري،ط2، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني ،القاهرة ،بيروت ،1989م.

32-مجدي وهبة ،معجم مصطلحات الأدب ،ط2،مكتبة بيروت ،بيروت ،لبنان،1984م

33-المختاري زين الدين، مدخل إلى نظرية النقد النفسي ،دط منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ،سوريا ،1998م .

34-المقري ،أحمد بن محمد ،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تحقيق إحسان عباس دار صادر ،بيروت ،لبنان،ج3،1968م .

35-ملّا علي القاري ،نور الدين علي ،الأسرار المرفوعة ،تحقيق محمد بن لطفي الصباغ ط2،المكتب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ،1996م.

36-ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت،لبنان،1998م .

37-ابن وحشية، النبطي،كتاب النخل ،تحقيق ابراهيم السمرائي ،دط،مجلة المورد،بغداد العراق،1971م.

38-يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا،ط1،دارالبعث، قسنطينة ،1987م.

الدواويـــــــن

39- امرؤ القيس، ديوانه، تحقيق مصطفى عبد الشافي، ط5، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،2003م.

40-أبو تمام، ديوانه، شرح الخطيب التبريزي،ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1994م.

41-جميل بن معمر العذري، ديوانه، دط، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ،لبنان 1982م.

42-عروة بن حزام ،ديوانه ،دط،المكتبة الوقفية.

43-عمر بن أبي ربيعة ، ديوانه، تحقيق فايز محمد ، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان 1996م.

44- المتلمس ، جرير بن عبد العزى ، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دط، الشركة المصرية للطباعة والنشر، مصر ،1980م .

الرسائل و المجلات

45-أمل رحمة، وحميدة البلداوي ،باعث العاطفة في حقول التراجيديا في الشعر الأندلسي، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد 17، دت .

46-عيكوس، الأخضر، الصورة الشعرية في القصيدة الجاهلية، رسالة ماجيستر، جامعة قسنطينة، 1986م.

47-هوميروس ،الإلياذة، ترجمة صفية طبني ،راجع أوزانها و ضبطها ،جبران سحاري، مدرسة النقد الأدبي ، 2002م.

المعاجـــــــم و القواميس

48- الفيروزآبادي ،مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط ،تحقيق مكتب تحقيق الثرات، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت ،لبنان 2005م .

49-مجمع اللغة العربية ،المعجم الوسيط،ط4،مكتبة الشروق الدولية ،مصر ،2003م.

ملخص البحـــــث

عرض بحثنا الموسوم الغربة و الحنين في شعر عبد الرحمن الداخل ،قضية أثر الغربة المكانية في نفسيته و تجلياتها في شعره .

كما تناول تحديد معالم المنهج النفسي الذي كان معتمد دراستنا مرا على رسم مفهوم الغربة والحنين، و أسباب هذه الغربة، وتوقف بنا الطواف عند تطبيق المنهج النفسي على آثار الداخل التي تناولت هذا الغرض.

RESUME DE LA RECHERCHE

Voir notre recherche et marquée par l'aliénation et de la nostalgie dans La poésie de "Abderrahmane eddakhil "de la question de l'impact de l'aliénation spatiale dans la psyché et de ses manifestation dans sa poésie .

A également abordé l'élaboration du psychologique au programme, qui a été soutenu par notre étude pour dessiner le concept d'aliénation, de nostalgie et de leur croisière sur les causes et nous a arrêtés lors de l'application de l'approche sur les effets psychologique de d'eddakhil qui portrait cet effet.

في **عصر الإمارة** نشط الشعر وكان العدد الأكبر من الأمراء الأمويين في الأندلس شعراء، منهم عبد الرحمن الداخل (113،172) الذي اتسم شعره بالرقــة والتميز، وقد طرق في شعره موضوعات عدّة من بينها: الوصف الذي كان يحمل سمات الشعر الأندلسي الذي نهض بنقل الإحساس بأدوات فنية جديدة متقنة؛ مع غلبة الجانب العاطفي، و هذه السمة الوصفية تعد من التجارب الشخصية، التي طبعت شعراء الأندلس وهذا ما نجده في وصفه للنخلة إذ قال فيها[1] :

تَبَدّتْ لنا وَسْطَ الرُصافةِ نخلــةُ تناءَت بأرض الغرب عن بلد النخلِ

فقلت :شبيهي في التغرُبِ و النَّوى و طولِ التنــائي عن بنيَّ و أهلــي

نشأتِ بأرض أنتِ فيها غريبــــة فمثلُكِ في الإقصاء و المنتأى مثلــي

سَقَتْكِ غوادي المُزْنِ من صَوْبِها الذي يَسُحُّ و يستمــري السِّمَاكَيْــنِ بالوَبْــل

الكامـــــل

تناول عبد الرحمن في هذه الأبيات كما قلنا سابقا موضوعــا تقليديا وهو الوصــف ولكنه يلّح على الجانب العاطفي فيبرزه بحيث يكاد يخفي ما سواه من جوانب أخرى، فلم يصف النخلة في طولها ولا في لونها ولا ثمرها، و إنّما ترك ذلك كلَّه ليصف النخلة بأوصاف عاطفية فصوّرها بصورة نفسية، والصورة كما عرّفها "علي البطل" بأنها "شكل لغوي يكوّنها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها"[2]، فالصورة الشعرية ترتبط بالواقع من حيث كونــها تستحضر المرئيات في الذهن عن طريق الحــواس ولكنها غالبا ما تعيد تشكيل هذا الواقع وفق الواقع النفسي للشاعر، وبذلك يعبّر عن تجربته الشعورية و يتخذها الشاعر أداة لتصوير هذا الواقع الداخلي و تجسيد مشاعره و أحاسيسه من خلالها .

[1] المقري ،شهاب الدين أحمد ،نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،ج2 ،ص 56.
[2] البطل علي، الصورة في الشعر العربي ط2، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1981م، ص 30.

فعبد الرحمن صوّر لنا واقعه الداخلي وجسد مشاعره من خلال النخلة التي تعتبر مرآة تعكس ما في نفسيته، و ما في وجدانه فيحمّلها من الغربة والفراق والبعد ما يعانيه الشاعر ولا تهمّه الصور الفنية، وإنّما الدفقة الشعرية فهو يحمِّل هذه النخلة معاناة البعد عن المشرق وهذه الأبيات تعبِّر عن مرارة عبد الرحمن الداخل لذا ظهرت هذه النغمة إذ يقول:

تَبَدّتْ لنا وَسْطَ الرُصافةِ نخلةُ تناءَت بأرض الغرب عن بلد النخلِ

تبدَّت يعني تبدو لنا و كأن شيئا ظهر فجأة لأن النخل لم يكن معروفا في الأندلس فقد اقتلع النخل من جذوره وزرع في الأندلس.

في هذا البيت نجد فاصلا بين كلمة النخلة والفعل تبدَّت هذا يشير إلى أنه بعيد فالأندلس بعيدة عن المشرق، والشاعر لم يُعَرِّف النخلة لأن التنكير يفيد العموم والإطـلاق ولكي يحمِّلها ما يريد من الغموض، فيرجع هذه النخلة إلى العهود الأولى إلى أرض الأجداد و يريد أن يرمز بخروج النخلة إلى نفسه بأنّه قُلع من جُذوره مثل هذه النخلة، ثم يُؤكد على أنّ ما يمزِّق كبده هو البُعد والفُراق، عبد الرحمن الداخل عبّر عن تعلقه وحنينه إلى المشرق عندما" بنى في شمال غرب قرطبة قصرا صيفيا على سفح جبل قرطبة سماه قصر الرصافة محاكيا في ذلك قصر جده هشام بن عبد الملك"[1] "في شمـال شـرقي تدمر بالشـام و سمّاه بهذا الاسم أيضا"[2] وذلك لتعلقه به وحنينه إليه، ثم في الشطر الثاني يقول تناءت ونحن تعلمنا بأن كل زيادة في الصيغة الصرفية تتطلب زيادة في المعنى، ولقد أشار إلى ذلك البعد عن طريق المسافة بين الكلمات، ثم أكدّها بطريقة أخرى من التكرار، وذلك للزيادة في المعنى، ويقصد الداخل هنا بالغرب الأندلس، و بلد النخل المشرق، و التكرار يأتي بعدّة صور قد تكون بتكرار اللغة، ربّما بالصّيغة الصرفية، أو بالمعنى، وذلك تكراره في كل القصيدة بل في كل شطر من القصيدة وهذا من أجل التخلص من الحمولة الشعرية التي

[1] الشطشاط ،علي حسن ،تاريخ الإسلام في الأندلس، د ط ،دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ،القاهرة، مصر ،2001م،ص100 .
[2] سيمون حايك ،عبد الرحمن الداخل قصة وتاريخ ، د ط،1982م،ص 173،www.al-mostafa.com.

يعانيها الشاعر، فالشاعر يعاني مرارة الفراق والبعد ويريد أن يتخلص من هذا الشعور فيكرّر في المعاني ثم يقول لها :

فقلت :شبيهي في التغرُبِ و النَّوى و طولِ التنائي عن بنيَّ و أهلي

إنّ الشاعر يخاطب النخلة رغم أنها لا تسمع ولا تتكلم فيقول: فقلت شبيهي فهو يعكس من خلالها ما يريد أن يقول لأنها تشبهه، غريبة، بعيدة عن أهلها وإخوانها في المشرق مثله إذن فهـي تشبهه في مختلف الظروف حالها لحاله في الغربـة والبعد والألـم والشوق والحنين والبكاء ،ثم يقول التغرب والنوى، وهنا المعنى واحد، فقد جاء التكرار بصيغة المعنى ولم يكتف بذلك بل قال و طول التنائي أي طول البعد، "فالتكرار يظل دائرا في فلك النبض النفسي للشاعر، وما يجلبه من ألفاظ يكون الإلحاح عليها، أو على جملة مهمة من العبارة لاتصال دلالاتها الشعورية والنفسية بالحالة التي تسكن الشاعر"[1].فالداخل في هذا البيت يحمّل النخلة مشاعره الحزينة ، والتنائي ليس عن بنيه فحسب بل عن أهله جميعا .

ثم يقول :

نشأتِ بأرض أنتِ فيها غريبة فمثلُكِ في الإقصاء و المنتأى مثلي

و هو يؤكد بأن هذه النخلة في أرض غريبة مثل عبد الرحمن الذي أسس دولته وبنى قصوره في أرض بعيدة عن أرضه الغالية التي أقصي عنها، والإقصاء يكون بمعنى الإكراه فالشاعر أُبْعِد عن وطنه، وهو مكره مرغم على ذلك ،ثم يدعو الشاعر لهذه النخلة بالسقيا فيقول :

[1] بكاي ،اخذاري ،تحليل الخطاب الشعري،د ط ،وزارة الثقافة ،2007،الجزائر ،ص 60 .

سَقَتْكِ غوادي المُزْنِ[1]* من صَوْبِها[2]* الذي يَسُحُّ[3]* ويستمري[4]* السِّمَاكَيْنِ[5]* بالوَبْلِ[6]*

و هذا الأسلوب معهود في الشعر العربي أن يدعو الشاعر لأرض محبوبته ولقبيلتها بالسُّقيا.

إنّ الشاعر ربط بين حاله والنخلة في غربتها وقد كانت لغته واضحة، ومفرداتها موائمة للغرض المنشود، فلمسنا شدة الشوق والمعاناة والحزن العميق، فهومن خلال الكلمات يبرز فكرة التوحد في الحزن والغربة مع سرد الذكريات التي عاشها، و ذات جرس متجانس مع شدة الشوق .

وهذه الأبيات تندرج في إطار الشعر الوجداني الذي تستسيغه النفس، لما ينطوي عليه من صدق ومعاناة، يتأثر بهما القارئ ويتدخلان مع معاناته وإحساسه دون قيد بحدود الزمن. وقد كشفت النخلة الجانب الإنساني في شخصية الداخل، الذي سرعان ما يغلب عليه الجانب الآخر عند خروجه من هذه اللحظة إلى الواقع الصعب، ولكنه ليس خروجا نهائيا حيث يعود إليها مع كل سانحة تهوى النفس فيها مرابع الأيام الخوالي، فلا يدعها إلا قد أفرغ زاده من الحنين، فيّاضا كما غوادي المزن، تستدر المطر الشديد، على نحو ما انطوى عليه البيت الأخير، الذي يعتبر الأكثر متانة و قوة، ولعل النخلة التي ترمز إلى البادية، وتعتبر الشجرة اللصيقة بذاكرة العربي، بدءا من مرابعه الأولى في شبه الجزيرة إلى مرابعه المستجدة مع الفتوح، كانت أقرب الأصدقاء إلى قلب عبد الرحمن، لما بثها من شجون لم يكن يسمح له كبرياؤه بالإفضاء بها لسواها .

[1] *غوادي المزن: الغوادي جمعُ غادية، وهي سحبُ الصباح الباكر التي عادةً ما تكونُ مُحمّلة بالخيرات الوافرة،.مزن :مزن في الأرض مزنة واحدةأي سار عقبة واحدة .لسان العرب،مادة (مزن) ،مجلد 3،ص351.

[2] *الصوب: المطر.

[3] *يسحّ:من السح أي الثمر الذي لم ينضج بماء .و قيل إنه ثمر يابس لا يكنز ،و قيل سح الماء أي مر على وجه الأرض .لسان العرب، مجلد 2 سحّ الماء و سحوه :سال من الأعلى إلى الأسفل ،يسح الماء سحّا أي صبه صبا متتابعا كثيرا. مجمع اللغة العربية ،المعجم الوجيز،ط1،مجمع اللغة العربية ،جمهورية مصر العربية ،1980م،ص 304.

[4] *يستمري :يستدر.

[5] *السماكين :نجمان مضيئان.

[6] *الوبلُ: المطرُ الشديد .لسان العرب مادة (وبل) مجلد 3،ص364 .

إن من سمات الوصف في الشعر الأندلسي: التشخيص :أي إسباغ الحياة على الأمور المعنوية أو على الجمــادات و تجسيمها و مخاطبتها مخاطبة الكائــن الحي ،وهي سمة انتشرت في الشعر الأندلسي كثيرا وهذا ما نجده عند عبد الرحمن الداخل إذ يخاطب النخلة يقول:

يا نخـــــلُ أنتِ غريبة مثلـــي في الغرب نائية عن الأصــل

فابكـــــي ، و هل تبكي مكبَّسة عجماء لم تطبع على خَبْـــل؟

لو أنها تبكـــــي ،إذًا لبـــكت ماء الفرات و مَنْبِتَ النَّخـــل

لكنها ذَهَلَــتْ ،و أذهلنـــــــي بغضي بني العباس عن أهلي الطويـــــل

جاء تصوير الشاعر لحالة البعد بينه و بين النخلة تجسيدا و تشخيصا للمعاناة، ويعد التشخيص والتجسيد "جناحي المجاز الإستعاري وبهما ينتقل المعنى المجرد إلى تعبير مجسد من غير التجاء إلى أدوات التشبيه و المقاربة "[1] ويعني التشخيص الأنسنة "أي نسبة صفات البشر إلى أفكار مجردة أو إلى أشياء لا تتصف بالحياة "[2]،أما التجسيد "فهو إضفاء صفة الماديات على ما هو مجرد "[3] هكذا جعل الشاعر النخلة إنسانا حيّا، فهي تشبهه "من حيث استقامة قدها وطولها وامتياز فحالها عن أنثاها وإخصابها باللقاح الظاهر للعيان، ولو قطع رأسها هلكت، ولها غلاف كالمشيمة التي يكون فيها الولد ،والجمار الذي في رأسها لو أصابته آفة هلكت النخلة لا محالة فهو بمنزلة المخ مـن الإنسان إذا أصابته آفــة ولو قطع منها سعفة لا يرجع بدلها فهي كعضو الإنسان وعليها ليف يشبه الشعر الذي في الإنسان"[4].

[1] سلمى الخضراء،الإتجاهات والحركات في الشعرالعربي الحديث،ترجمة عبد الواحد لؤلؤة،ط1،مركز دراسات الوحدة العربية،،بيروت، لبنان، 2001م،ص747.

[2] مجدي وهبة ،معجم مصطلحات الأدب،ط2،مكتبة بيروت ،بيروت لبنان،1984م،ص 358 .

[3] المرجع نفسه ،ص315 .

الإنسان"[1]. والشاعر في هذه الأبيات يخاطب النخلة ، وكأنها امرأة تشاركه غربته ويقرن حاله بحالها إذ يقول:

يا نخلُ أنتِ غريبة مثلـــي في الغرب نائية عن الأصـــل

و قد افتتح بيته بالنداء خاصة باستعماله حرف يا الذي يعبّر عن رغبة الشاعر في الإفصاح عما بداخله وهو باستعماله النداء ينبه السامع ليشاركه غربته، والنداء يفيد الشكوى والبوح، فالشاعر ينادي النخلة لأنهما يشتركان في نفس المحنة وهي الغربة فيقول لها يا نخل وهي" استعارة مكنية"* شبه النخلة بالإنسان العاقل الذي يسمع الشكوى يخاطبها ويقول لها أنها غريبة مثله ، وأنها بعيدةٌ عن موطنها الأصلي، وعن كل ما يُحيطُ بها من نخيل، فهو يُسقطُ ما يشعرُ به على هذه النخلة، فتشعرُ بمشاعره، وقد جاءت كلمة مثلي والتي تعود على الشاعر قريبة من كلمة النخل وذلك لأن النخلة تمثل في اللاوعي الجمعي عنصرا مشابها بالإنسان، وقد جاء ذكر النخل في القرآن الكريم تنويها بمكانته وتنبيها على منزلته في آيات بينات كثيرة منها قوله تعالى:" وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ "[2]، و قوله تعالى: أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ "[3] كما ذكر الرسول صلى الله عليه و سلم هذه الشجرة الكريمة المباركة و أتى عليها و امتدح ثمارها ،و رغب في إكرامها و أكْل ثمرها فقال صلى الله عليه وسلم "أكرموا عمتكم النخلة "[4].

وقال أبو حاتم سهل بن محمد السِّجستاني رحمه الله "النخلة سيدة الشجر، مخلوقة من طين آدم صلوات الله عليه "[5]، وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله

[1] ابن حوشية، النبطي ،كتاب النخل ،تحقيق ،إبراهيم السامرائي،د ط ،مجلة المورد ،بغداد،العراق، 1971م،ص 70.
*الاستعارة المكنية :حذف المشبه به و الرمز إليه بشيء من لوازمه ،الحسين قصي،انثروبولوجية الأدب ،ط1،دار و مكتبة الهلال ،بيروت ،لبنان 2009م ،ص 105.
[2] الرحمن،10،11 .
[3] عبس، 25،29.
[4] ابن حوشية،النبطي ،كتاب النخل ،ص70 .
[5] السجستاني ،ابو حاتم ،النخلة ،تحقيق حاتم صالح الضامن ،ط1،دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشروالتوزيع ،بيروت،لبنان،2002م،ص29 .

عليه وسلم: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنّها مثل المسلم، حدثوني ماهي؟ قال فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله فوقع في نفسي أنَّها النخلة ثم قالوا: حدِّثنا ماهي يا رسول الله، قال هي النخلة "[1].

فحين يرى الغريب النخلة يرى فيها امرأة تشاركه الغربة و الحنين فيأمرها أن تبكي بقوله:

فابكي ، و هل تبكي مكبَّسة عجماء لم تطبع على خَبْل؟

في هذا البيت عمل الشاعر على تصوير شيء تجريدي (اغتراب نفسي) بشيء حسي مادي ملموس فقد عمل على تجسيم الحالة النفسية من خلال النخلة فهو يأمرُها أن تبكي وهي صورة وجدانية نطل من خلالها على نفسية الشاعر و همومه الذاتية التي يفيض بها وجدانه ،فالشاعر يضمّن هذه الصورة "صورا عاطفية تخاطب وجدان المتلقي مباشرة ،و تنفذ إلى أعماق روحه مؤثرة فيه التأثير الفني المشروط بقوة المثير الشعوري المنبجس من حقيقة الشاعر الوجدانية"[2]،و يستخدم الشاعر في هذا النوع من الصور الألفاظ العاطفية المشحونة بالانفعالية مثل :البكاء ،الشوق ،اللوعة ،الفراق وهذا ما نجده عند الداخل ، ثم يتساءل كيف ستبكي وهي لا تستطيع الكلام، ولكنّه يراها، وإن كانت لا تتحدث فهي كشخصٍ واعٍ متزن فاهم، ثم يقول :

لو أنها تبكي ،إذًا لبكت ماء الفرات و مَنْبِتَ النَّخل

ولو أن تلك النخلة استطاعت أن تبكي كما يبكي الناس لبكت شوقًا إلى ماء الفرات، فالنخل عربي الأرومة و النُّجار ليس في بلاد الشرك شيء منه، قدره الله جل وعز للعرب في جزيرة العرب و في المشرق و أكثره في العراق وقال أبو حاتم في كتابه النخلة "سمعت الأصمعي يقول سمعت هارون أمير المؤمنين يقول نظرنا فإذا كل ذهب وفضة على وجه الأرض لا

[1] البخاري ،ابن مغيرة الجعفي ،الجامع الصحيح ،ط1،دار طوق النجاة ،بيروت ،لبنان ،،ج2،1422هـ ،ص 34 .
[2] عيكوس ،الأخضر ،الصورة الشعرية في القصيدة الجاهلية دراسة بلاغية نقدية ،رسالة ماجيستر ،جامعة قسنطينة ،1986م ،ص 230 .

يبلغان ثمر نخل البصرة "[1]. والماء رمز الحياة بالنسبة للشعراء فهو أكثر العناصر حراكا فيما يعرف ب "الخيال المادي" الذي يتراءى في أبهى تجلياته في الأدب، وعلى نحو أكثر تحديدا في الصورة الشعرية، وهي سمة تعمقها و تؤصلها محمولاته السخية على صعيدي الأساطير و الشرائع، لقد أدرك الإنسان منذ فجر تاريخه أن الماء هو الشرط الأول من شروط حياته فنظر إليه بحب و تقديس، ورأى فيه" قوة خلاقة، وإرادة إلاهية لإنتاج حياة جديدة، وكائنات جيدة فالماء هو عنصر الخلق في الفكر الميثولوجي يُصدر الأوامر المشددة التي يتألف منها رقي الكاهن، تلك الأوامر التي تسكن من ثائـــرة القوى الساخطة، وتطرد الأرواح الشرّيرة التي تهاجم الإنسان"[2]،إن للتعالق الإشتراطي بين الماء والحياة سطوة لا تنهض بها في رؤيا الشاعر سوى علامات السلطة والإرادة المطلقة التي يتمركز الماء في قطبها الخالق، محققا حضوره الفاعل في النسيج العلاماتي من خلال بعدين :

البعد التطهيري :فالماء هو القوة المطهرة للأدران الروح و الجسد، فالماء "يتلقى صور النقاء كافة "[3]، بوصفه إرادة التطهير التي تشف عن كل ماهو جوهري وقديم في الأشياء .

أما **البعد التخصيبي:** فالماء مُذكَّر فلسفيا على ما يبدو معه اللاشعور الإنساني الجمعي ساعيا إلى ترسيخ قطبية زوجية ما، في مقابل القطب المؤنث :الأرض، فالماء بسلوكه الذكري يحرض الخصوبة الكامنة في الرحم الكوني الأرض/ الأم الأولى، يمنحها طاقة الخلق والتواصل ،وغيابه عنها نظير رمزي لاستحالة التخصيب وبالتالي استحالة تحقيق الولادة الجديدة. فالشاعر في قوله إذا لبكت ماء الفرات ومنبت النخل، و هنا نجد القطب المذكر المتمثل في الماء و الفرات (العراق) هي الأرض و هي القطب المؤنث و النخلة هي التي وُلدت من هذه الثنائية فأرض الفرات(العراق) بالنسبة للنخلة هي الأم الأولى لها .

[1] السجستاني ،أبو حاتم ،النخلة ، ص 5.
[2] فرانكفورت و آخرين ، ما قبل الفلسفة ،ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ،المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،بيروت ،لبنان ،1980م، ص ص 171،172 .
[3] غاستون باشلار ،الماء و الأحلام ،ترجمة علي إبراهيم ، ط1، مركزدراسات الوحدة العربية ، ،بيروت،لبنان ،2007م،ص 31 .

إن عبد الرحمن يسترجع ماضيه من خلال ماء الفرات ذلك النهر العظيم الذي يعتبر من الأمكنة المائية التي تصل حاضر الإنسان بماضيها عبر دلالتها الكامنة في عمق اللاشعور الجمعي للإنسانية ،في رحلة العودة إلى البدايات و قد رسخت الميثولوجيا هذه السمة الرمزية للماء، مثلما نجد في ملحمـــة كلكامش وملاحم الإغــريق، فتارة يبدو الماء قوة جبّارة للخلـق ،و أخرى يبدو أفقا للسفر إلى المجهول بحثا عن الحقيقة و الخلاص و تارة يتخذ مظهر الألوهة و القداسة ،أو يبدو قوة جبارة للغضب الإلهي تعصف بأحلام الإنسان ،كما رسخت الكتب السماوية هذه الامتيازات الدلالية للماء سواء في العهدين القديم و الجديد أو في القرآن الكريم حين جعلت منه مبدأ للصيرورة الكونية، كما في قوله تعـــالى:"أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ "[1]،و قوله تعالى:"وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧ "[2] فقد جعل الخطاب القرآني من الماء رحما إنبثقت منه الحياة .

فالنخلة تمثل بعدا عربيا أصيلا، غير أنها قد انتزعت من تربتها الأصلية لتستنبت في أرض غريبة هي أرض الأندلس، ورغم كون الأندلس لا تمثل مكانا غريبا بالنسبة للعرب و المسلمين في و قت سابق، غير أنها بالنسبة للنخلة تمثل حالة غربة واضحة، من حيث كونها غربة طقس وبيئة وأرض غير معهودة، ولهذا يقول الشاعر لو كانت تستطيع البكاء لبكت على كل ذلك، وهنا الشاعر يحاول أن يخفف عن رغبته في البكاء بإسقاط ذلك على النخلة .

[1] الأنبياء،30 .
[2] هود ،07.

و الإسقاط هو حيلة دفاعية "نبـذ فيها الشخص من ذاتــه بعض الصفات والمشاعـر و الرغبات و حتى بعض الموضوعات التي ينكر لها و يرفضها في نفسه لكي يموضعها في الآخر، سواء أكان هذا الآخر شخصا أم شيئا "[1]و هذه المشاعر والرغبات تمثلت في البكاء.

لكنّه لا يمنعنا من أن نقرأ هذا المعنى كدلالة تحيل إلى نفسية الشاعر التي أرهقتها الغربة و أرقها الحنين.

لكنّها ذَهَلَــتْ ،و أذهلنــي بغضي بني العباس عن أهلي

إنّ تلك النخلةَ تشاركُ الشاعرَ بُغضه بني العبّاس في المشرق، لأنّهم كانوا السبب في التشرّد والخروج من تلك الديار التي تُشكّل رمزًا لوجود الإنسان الأول، فبمغادرتِه لذلك الوطن مُرغمًا مُكرهًا فقد فَهمَ ذلك على أنّه إلغاءٌ لوجودِه بكلّ ما فيه من مُستويات فكرية وعاطفيّة، من ذكريات وأيام .

لعّل لوعة الشكوى التي كَلَف إليها الشاعر عبد الرحمن الداخل تكشف عن دواعيها بإطار الصراع النفسي الذي واجهه الشاعر في غربته، ذلك الصراع ظهرت أبعاده بحواره مع النخلة حيث نقلها من واقعها الحقيقي إلى رمز تتمثل فيه كل صفات الإنسان، فهي تشتكي و تتألم من الغربة .

هذه الشكوى التي عبّر عنها الداخل في المقطوعتين بكلمات أحدثت إيقاعا عكس لنا نفسيته، "وفق التجــربة التي خاضها، والمرتبطــة بالحدث الذي يلتحم مع هــذه التجربة"[2]، والإيقاع بمفهومه الأدبي المتداول عند العديد من الدارسين الذين يعرفونه بأنه "حركة الأصوات الداخلية التي تعتمد على تقطيعات البحر أو التفاعيل العروضية "[3]، وأنه "موسيقى ناتجة عن وسائل متعددة أهمّها التكرار ،تكرار كلمات معينة أو متشابهة أو حرف أو حروف

[1] فيصل عباس،التحليل النفسي للشخصية ،ط1،دار الفكر اللبناني بيروت ،لبنان ،1994،ص 44 .
[2] عبد القادر فيدوح ،الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ، ط1،دار صفاء للنشر و التوزيع ،عمان ، الأردن ،2010 ص 650 .
[3] عز الدين إسماعيل ،الأسس الجمالية في النقد العربي ،ط2،دار الفكر،1968 ،ص 374 .

متحدة المخرج أو متقاربة أو ذات صفة جرسية واحدة "[1]، فرغم اختلاف المقطوعتين في الإيقاع بسبب "تغير طبيعة الصورة الشعرية في بنيتها الانفعالية فتصبح ذات تفعيلات متنوعة، ولذلك يلجأ الشاعر إلى تنويع البحور"[2]، فإن اتفاقهما في حرف الروي والقافية سيكون مفتاحا مهمّا للتوغل في أعماق الداخل، ذلك أن حرف الروي "اللَّام" الذي تكرر في نغم صوتي متجانس يجلب انتباه الأسماع فهو من الحروف المجهورة الرخوة، والرخاوة والجهر صفتان دالتان على شخصية تعيش تجاذبا يتجلى من خلال اكتناز القصيدتين لمجموعة من الحروف الانفجارية مثل الباء ،الدال ،الكاف ،التاء الضاد ،الهمزة ،فكأنما بين الروي "اللام" و الحروف التي يتضمنها الحشو ما يكشف عن التجاذب الوجداني الذي يميّز شخصية الداخل، فهو يتكئ على حرف رخو مجهور مكسور لكنه يخرج من بين مجموعة حروف انفجارية شديدة و التي تعبّر عن رفض الشاعر الداخلي لمكان الغربة، و لقد اختـــار حروف المـــد و الليـــن التي تعبر عن إخراج الحزن الذي ســكن قلبــه بسبب بعده عــن وطنه و أهلـــه، و تعكس لنا الحالة النفسية الكئيبة للشاعر مثل :لنا ،تناءت ،النوى، التنائي، أهلي، طول ،فيها ،الإقصاء ،المنتأى ،مثلي، غوادي ،يستمري ،يا ،نائية ،أنها عجماء.

أما القافية و التي تعتبر عنصرا أساسيا لبناء القصيدة من حيث كونها تميز نهاية البيت ،وتهبه وحدته ،فهي "ضرورة نفسية يلجأ إليها الشاعر حتى و لو كان ذلك دون وعي منه للتعبير عن مشاعره الداخلية التي تعكس انفعاله في إفرازات نفسية متتابعة "[3] فلقد جاءت مقيّدة ،و هذا التقييد ساهم في إبراز جانب الغضب و الحزن المكبوت.

[1] يحي الشيخ صالح ، شعر الثورة عند مفدي زكريا ،دراسة تحليلية فنية ،ط1،دار البعث ،قسنطينة ،1987م،ص 294 .
[2] :فيدوح عبد القادر ،الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ،ص 467 .
[3] المرجع نفسه ،ص 472 .

من خلال المقطوعتين "ظهر عند الشاعر المزج بين الحنين و الطبيعة ،فتكون تلك الصور معبّرة عن الحالة الجديدة التي يعيشها في غربته مع سعة الحال"[1]، فرغم المجد والجاه الذي حقق الداخل في الأندلس إلاّ أن حنينه إلى أهله لم ينقطع فيقول :

أيها الرّاكــبُ المُيـمّمُ أرْضــي أقْرِ من بعْضِي السَّــلامَ لبعْــضِ

إنّ جسمـــي كما عَلِمتَ بأرضٍ و فــُـؤادِي و مالكيـــْه بـــأرضِ

قُدّر البَيـــن بينـــنا فافـترقنـا و طوى البين عن جفوني غمـضي

قد قضـــى الله بالفـراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضـــي

لقد عبّر الشاعر في هذه الأبيات عن حنينه إلى وطنه وقد برز فيها طابع الحزن وهذا من خلال الكلمات مثل البين ، الفراق ،الفؤاد ،كما أنه ألح في ذكر الأرض و منحها ياء النسب ليؤكد هذه الصلة الحميمية وهذا ما نجده في قوله :

أيها الرّاكــبُ المُيـمِمُ أرْضـي أقْرِ من بعْضِي السَّــلامَ لبعْــضِ

افتتح الشاعر هذه المقطوعة ب **أيُّها** التي تفيد النداء و تستعمل لاستحضار تنهدات نفسية عميقة ،و الميَمِمُ هو اسم فاعل من يمَمَ المكان :إذا قصده و الشاعر هنا يطلب من المتوجه إلى المشرق أن ينقل له السّلام لنصفه الآخر فيقول أقر من بعضي السلام لبعض فهو مجزء نصفه في مكان والنصف الآخر في مكان آخر فيقول :

إنّ جسمـــي كما عَلِمتَ بأرضٍ و فــُـؤادِي و مالكيـــْه بـــأرضِ

إن مكان الألفة يجذب الشاعر إليه فيشعـر فيه بالمتعة بينـما مكان الغربة يشعره بالوحـدة والحزن وهنا يحدث التناقض بين الألفة والغربة هذا التناقض الذي يختلج الشاعر أثناء إقامته وتواجده في المكان الثاني، فالشاعر هنا يؤكد على أن جسمه بأرض ويقصد بها

[1] أمل رحمة ،وحميدة البلداوي ،باعث العاطفة في حقول التراجيديا في الشعر الأندلسي،مجلة البحوث التربوية والنفسية ،العدد 17،دت،ص119.

المغرب و فؤاده ومالكيه بأرض أي المشرق،" وهكذا وعلى محور ثنائية الألفة /والغربة يتشكل خطاب الغربة و الحنين المكاني و يتجاذب قطبان :الألفة المشرق/ والغربة الأندلس ومن خلال هذا التقاطب تظهر لنا رؤية التجاذب النفسي بين المكانين التي تسيطر على ذات الشاعر. الداخل هنا لا يقصد فؤاده قلبه ،إنما ما يرسخ في القلب من ذكريات وهموم عن وطنه، وفي هذا البيت شطّر الشاعر روحه إلى نصفين الشطر الأول من البيت هو الجسد الموجود في المغرب (الأندلس)، والشطر الثاني روحه الموجودة في المشرق وهي صورة تعبّر عن نفسية الشاعر المنكسرة، فرغم الملك و الجاه الذي حققه في الأندلس إلاّ أن روحه بقيت متعلقة بالمشرق، فقد غادر موطنه مرغما وقد ذكر ذلك في قوله :

قُدّر البَيـــن بينـــنا فافترقنـا و طوى البين عن جفوني غمـضي

وفي هذا البيت جاء الفعل قُدر مبني للمجهول لأنه فارق وطنه مكرها فابتعد عن أهله ، وقد كرّر الشاعر كلمة البين أي الفراق هذا التكرار الذي من خلاله يريد الشاعر أن يخفّف من مرارة الفراق الذي أبعد النوم عن جفونه، فتكرار الألفاظ والعبارات له هدفه الخاص في نفس الشاعر، ويقصد من وراءه غرض يفهم من السياق ومن ظروف الشاعر، فالعبارة التي يكررها الشاعر تؤدي إلى رفع مستوى الشعور في القصيدة إلى درجة غير عادية يجعله يستغني به عن عناء الإفصاح المباشر وإخبار القارئ بالألفاظ على مدى كثافة الذروة العاطفية ، فإن أراد الشاعر أن ينفس عن ضيق في صدره يكرر ذكر الألفاظ (البين، فافترقنا طوى البين) ،وهذا يدل على أن صورة المكان الأول هي الصورة النموذجية على مستوى الخطاب المكاني بينما ظل المكان الثاني (مكان الغربة) هامشا إضافيا يغذي تجربة الحنين و الغربة ويعمقها ويبقى المكانان مكان الألفة ومكان الغربة يمثلان فرحا وحزنا ،ليتمثل الشاعر الحزن في مكان الإقامة الجسدي، ولذا فهو يهرب من الحزن إلى الفرح من خلال أمله في اللقاء والشاعر بقضاء الله راض إذ يقول :

قد قضـــى الله بالفـراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضـــي

فالشاعر مؤمن أن الله هو الذي قدر عليه هذا الفراق و أن هذا الأمر ربانيا لم يكن بيده إلا أنه لم ييأس و عسى الله أن يجمعه مع أهله و يقضي بذلك، والقدرية في التحليل النفسي تبين أن صاحبها قد بلغ العجز منه أقصاه، وأنه في حالة هروب مقنع من الصراع الذي دخل حلبته، هي استجابة استسلاميه توهم النفس من خلالها بأنّها حين تؤمن بالقدر فإنها ستكافأ بانتظار الفرج، لهذا لاحظ الدارسون أن ظهور هذه الاستجابة" يكون حين يصل عجز الإنسان مداه، و تنعدم قدرته على توجيه الأحداث و التأثير في الظروف وهي تضمن محاولة ذاتية للسيطرة على المصير من خلال القول أن هذه هي طبيعة الأمور.. مما يدخل بعض العزاء إلى النفس و الطمأنينة إلى أن القدر إن قسا مرة، فلابد أن يأتي بعد ذلك فرج.."[1] .لقد استطاع الشاعر من خلال هذه المقطوعة التأثير في نفسية المتلقي وذلك من خلال كلماته التي كانت تحمل في ثناياها عاطفة واضحة ،و"التي بدت و كأنها زفرات قلب لم تستطع صروف الدهر انتزاعه من تلك الأرض"[2] فقد انعكس موضوع هذه الأبيات على البناء الفني، الذي جعلها تتسم بالرقة و السهولة، فضلا عن خفة وقعها على الأذن، وذلك للحروف الانفجارية التي اكتنزتها مثل: الباء، الدال، الكاف، التاء، الضاد وحرف الروي "الضاد" المكسور و هو حرف رخو مجهور استخدم كقافية ارتكازية والذي يعتمد على قدرة واعية من لدن الشاعر لتوظيف دلالة الكلمات الحاوية لهذا الحرف الصعب، فنادرا ما يستعمل هذا الحرف في القصائد العربية وفي بناءاتها الشعرية وتلك ميزة لهذا الحرف الأصيل الذي يعبر عن الأصالة العربية للشاعر، هذا الحرف الذي يحسن توظيف المفردات الضادية: مثل غمضي، أرض بعضي، قضى، يقضي. وتقييد القافية في هذه المقطوعة يعبّر عن رغبة الداخل في العودة إلى الوطن و لكنه مقيّد لا يستطيع فعل ذلك، ولكن يبقى أملـــه في الله سبحانـــه و تعالى .

[1] مصطفى حجازي، التخلف الإجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ،ط9،المركز الثقافي العربي ،بيروت،لبنان ،2005م،ص163.
[2] بيضون إبراهيم ،الأمراء الأمويون الشعراء في الأندلس ،دراسة في أدب السلطة ،د ط ،دار النهضة العربية ،1987م،ص 152 .

إن الوقفة المتأنية مع حيثيات هذه المقطوعات الثلاث تكشف لنا التناقض النفسي الواضح الذي ظهر في شعر الداخل و الذي توزع بين اللين تارة و القوة تارة أخرى و هذا يدل على أن الشاعر لحظة نظمه لشعره كانت تتجاذب ذاته صراعات نفسية بين أقطاب الجهاز النفسي الهو، الأنا، والأنا الأعلى، ومن خلال هذه التجاذبات يتكشف لنا مدى صدق شعوره .

و هكذا ندرك أن إبداعية الغربة و الحنين عند عبد الرحمن الداخل لا تعود إلى التجربة الشعورية ،أو الشخصية فقط ولكنها تحتوي العناصر التي تصنع العمل الإبداعي الخالد ،التجربة الشخصية، والتعبير الصادق عنها عن طريق اللغة التلقائية الواعية ،والصورة الفريدة التي هي وليدة التجربة و التي أثرت على نفسية المتلقي.

الخاتمـــــة

إنّ شخصية عبد الرحمن الداخل التي عرفت بصلابتها و قوتها كانت وراء انجذابنا لدراستها دراسة نفسية و قد مكنتني هذه الدراسة من تسجيل بعض النتائج التي نرى أنها اقتربت قدر الإمكان من واقع هذه الشخصية وأهم هذه النتائج: أنه رغم النكبات و المصائب التي مرت بحياته ولدت في نفسه حياة شعورية والتي تجلت في غرض الغربة والحنين الذي يُعد من صميم الغنائية الوجدانية فقد جسد الشاعر هذا الغرض في تجربة شعورية فريدة، وهذا يدل على أن شخصية عبد الرحمن الداخل شخصية فنان مرهف الحس فقد عبر شعر الغربة والحنين عند الداخل عن تجربة شعورية وواقعية صادقة عاشها الشاعر على المستوى الحياتي و أدت إليها ظروف سياسية، وقد ظهر تأثير هذه التجربة واضحة في شعره.

فقد ارتبط شعر الغربة و الحنين عند الداخل ارتباطا وثيقا بالمكان فمكان الغربة "الأندلس "هو المكان الواقعي المرفوض، ومكان الألفة المشرق هو المكان الذاكرة الذي ينجذب إليه الشاعر هذا الانشطار بين الأندلس والشام هو الذي طبع شعره بالحزن وكذلك اللغة البسيطة التي يغلب عليها الطابع الغنائي الوجداني الذي أثر في نفسية المتلقي وذلك لاستخدامه أدوات خاصة ومميزة ذات بعد رمزي عالي مثل صيغ تفعّل وتفاعل، والأفعال الماضية، كذلك استخدم الشاعر أساليب إنشائية متنوعة كالنداء، والاستفهام، والتمني، والتي خرجت عن معانيها الأصلية لتوظف في معاني أخرى استدعتها لوعة الشاعر فأصبحت تدل على الحزن و الألم و الوحدة ،و أيضا التكرار الذي استعمله الشاعر بكثرة وذلك لمعاناته مرارة الفراق أما الصورة اعتمد عليها في تشكيل رؤيته الشعرية و التعبير عن تجربته وأحاسيسه كانت أهم ميزة ارتباطها بالموقف النفسي للشاعر وصدورها عن وحي التجربة الشعورية له وأبرز الصور التي عبر عنها صورة النخلة التشخيصية ،فالتشخيص كان أبرز عناصر الصورة الشعرية و أجملها.

وهذا ما سمح لنا المنهج النفسي من معرفته لأنه أفضل منهج يستوعب شخصية الداخل و يفسر سلوكاتها ومواقفها ولهذا فأفضل طريقة للإحاطة بحياة المبدع، التي تظل تجاربها عميقة مترتبة في ما ينتجه من ابداع ،هي التمكن من آليات هذا المنهج واجراءاته.

ملخص البحـــــث

عرض بحثنا الموسوم الغربة و الحنين في شعر عبد الرحمن الداخل ،قضية أثر الغربة المكانية في نفسيته و تجلياتها في شعره .

كما تناول تحديد معالم المنهج النفسي الذي كان معتمد دراستنا مرا على رسم مفهوم الغربة والحنين، و أسباب هذه الغربة، وتوقف بنا الطواف عند تطبيق المنهج النفسي على آثار الداخل التي تناولت هذا الغرض.

RESUME DE LA RECHERCHE

Voir notre recherche et marquée par l'aliénation et de la nostalgie dans La poésie de "Abderrahmane eddakhil "de la question de l'impact de l'aliénation spatiale dans la psyché et de ses manifestation dans sa poésie .

A également abordé l'élaboration du psychologique au programme, qui a été soutenu par notre étude pour dessiner le concept d'aliénation, de nostalgie et de leur croisière sur les causes et nous a arrêtés lors de l'application de l'approche sur les effets psychologique de d'eddakhil qui portrait cet effet.

فهـــــرس المحتويـــــات

مقدمة .....أ

الفصـــــل الأول: الشاعـــر و الغربـــة

المبحث الأول :تحديد معالم المنهج النفسي

1-تعريف علم النفس الأدبي 6

1-1علم النفس 6

أ-لغة 6

ب-اصطلاحا..... 6

1-2 تعريف الأدب 6

2-خصائص المنهج النفسي 7

3- العلاقة بين علم النفس و الأدب تطور و تاريخ.....7

-أهم مدارس علم النفس المعاصر 16

المبحث الثاني :الغربة و الحنين في شعر عبد الرحمن الداخل

1-الغربة و الحنين 20

أ-مفهوم الغربة 20

ب-مفهوم الحنين 21

2-الغربة و الحنين عند العرب القدامى 23

3-عبد الرحمن الداخل وأسباب غربته و حنينه 27

أ-التعريف بالشاعر 27

ب-الأسباب السياسية 30

الفصل الثاني: نفسية الشاعر من خلال المدونة

المبحث الأول:التعريف بالمدونة 41

المبحث الثاني:الغربة والحنين في شعر عبد الرحمن الداخل-دراسة نفسية-.....44

خاتمة 59

المصادر و المراجع 61

ملخص بالعربية 66

ملخص بالفرنسية.....67